روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

قراصنة الجو

٣٥

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل • قراصنة الجو • (٣٥) • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٣٥



قراصنة الجو

- لماذا تم اختطاف مائة ضابط شرطة مصرى دفعة واحدة ؟
- كيف ذهب (أدهم صبرى) وحده ، ليواجه ألف رجل فى جزر أزوروس ؟
- تُرى ... أينتصر (أدهم صبرى) ؟ أم يذهب ضحية جديدة لقراصنة الجوّ ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة لترى .. كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : ذئب الأحراش

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق



١ ـ الطريق إلى أزورس ..

ساد الصمت التام فى قاعة الرماية ، أسفل مبنى المخابرات المصرية التقليدى ، على حين تحرَّك رجل طويل القامة ، وسيم الملامح ، رياضىّ القوام داخل أرجائها ، التى بدت خالية .

وفجأة .. برز هدف خشبىّ له ملامح وحدود الجسد البشرى على يسار الرجل ، وفى سرعة مذهلة استدار الرجل ، وأطلق من المسدس الذى يحمله من طراز (سميث) طلقة مُحْكمة ، استقرَّت فى منتصف عدة دوائر مرسومة فى موضع الرأس من الهدف .. ولم يكد يفعل ، حتى برز إلى يمينه هدف مشابه ، ولكن دوائره كانت تستقر فى موضع القلب ، ولم يلبث الرجل أن استدار إلى الهدف الجديد ، وزيَّن مركز دوائره برصاصة ثانية ، وهنا ظهر هدف ثان ، وثالث ، ورابع ،

وواصل الرجل تحرُّكاته والتفاتاته المرنة ، وانطلقت رصاصات مسدسه دون أن تطيش واحدة منها عن هدفها ، حتى وصلت سرعة بروز الأهداف وإصابتها نحوًا يعجز عنه أعظم الرماة ، إلّا أن رصاصات الرجل أصابتها كلها فى مهارة مذهلة .

ومن خلف حاجز زجاجىّ سميك ، يطل على قاعة الرماية ، التفت مدير المخابرات المصرية إلى رجل وقور يجاوره ، وقال :

ــ لا ريب أنه قد استعاد لياقته كاملة ، هل يبدو لك كرجل كان يوشك على الموت ، منذ أقل من شهر واحد ؟

هزَّ الرجل الوقور رأسه علامة النفى ، وقال وهو يراقب الموقف فى اهتمام :

ــ إنه يبدو قادرًا على مواجهة جيش بأكمله ، لا شك أنه لم يحصل على لقب (رجل المستحيل) جزافًا ، فهو يستحق كل حرف منه .

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات ، وهو يقول :

ــ انتظر حتى تقابله ، وستزداد إعجابًا به يا سيِّدى الوزير .

ثم رفع ميكروفونًا صغيرًا أدناه من فمه ، قائلًا :

ــ العقيد (أدهم صبرى) مطلوب لمقابلتى فى مكتب مدرب الرماية فورًا .

والتفت إلى الرجل الوقور ، مستطردًا :

ــ إنه الرجل القادر على القيام بعملية جزر (الأزورس) يا سيِّدى .

* * *

لم يكد (أدهم صبرى) يخطو داخل حجرة مدرِّب الرماية ، ويقع بصره على الرجل الوقور الذى يصاحب مدير المخابرات ، حتى رفع يده بالتحية العسكرية فى احترام وهو يقول :

ــ مرحبًا بتشريفك مبنى المخابرات يا سيِّدى وزير الداخلية .

ابتسم وزير الداخلية ، وقال وهو يتأمَّل (أدهم) عن قرب :

ـــ مرحبًا أيها العقيد .. فلتجلس حتى يمكننا تبادل الحديث دون قيود .

جلس (أدهم) فى هدوء ، على حين أشار مدير المخابرات إلى وزير الداخلية ، قائلًا :

ـــ وزارة الداخلية تطلبك لعمل خاص يا (ن – ١) ، وسيخبرك سيادة الوزير بالأمر بنفسه .

التقط وزير الداخلية طرف الحديث ، وسأل (أدهم) :

ـــ هل سمعت عن جزر (أزورس) أيها العقيد ؟

راجع (أدهم) بسرعة الدراسات التى تلقَّاها فى علم الجغرافيا ، وقال :

ـــ إنها مجموعة من الجزر الصغيرة فى المحيط

الأطلسى ، تقع على خطَّى طول وعرض (٣٧°) شمالى خط الاستواء يا سيِّدى الوزير .

غمغم وزير الداخلية :

ـــ هذا عظيم .

ثم اعتدل فى جلسته ، مقتربًا بوجهه من (أدهم) ، وقال فى لهجة يشتم منها المرء خطورة الموقف :

ـــ صباح أمس خرجت من (مصر) طائرة خاصَّة ، تقل بعض الممتازين من جهاز الشرطة ، متوجِّهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ضمن برنامج تبادل الخبرات والمعلومات بين دولتنا والولايات المتحدة ، فى حفظ الأمن الداخلى .. ولم تكد الطائرة تحلِّق فوق جُزُر (أزورس) ، حتى أحاطت خمس مقاتلات حربية مجهولةالهويَّة ، وطلبت منها لاسلكيًا الهبوط فى واحدة من جُزُر (أزورس) ، وإلَّا تعرَّضت لإطلاق نيران مكثف .. ولمَّا كانت طائرتنا مدنية غير مزوَّدة بالأسلحة القتالية ، ولا تمتلك ـــ بحكم

ضخامتها ـــ إمكانية المناورة مع خمس طائرات مقاتلة ، فقد أطاع قائدها الأمر ، وهبط فى إحدى الجُزُر ، بعد أن أبلغنا بالأمر لاسلكيًّا .

ارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، وقال فى حنق :

ـــ ولكن هذا نوع من القرصنة .

مطَّ وزير الداخلية شفتيه ، وقال :

ـــ إنها قرصنة جوِّيَّة قذرة بالفعل ، لم يتوقَّع حدوثها فى القرن العشرين ، ولكنها للأسف أصبحت حقيقة واقعة .

ضاقت المسافة بين حاجبى (أدهم) ، وهو يسأل وزير الداخلية فى اهتمام :

ـــ هل كانت الطائرة تحمل من الوثائق أو الأوراق ، ما يستحق إتيان مثل هذا العمل ؟

هزَّ وزير الداخلية رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ مطلقًا أيها العقيد ، ولكنها تحمل ما هو أهم .. مائة من أكفإ رجال الشُّرطة فى (مصر) .

قال (أدهم) فى لهجة متسائلة :

ـــ هذا لا يبرِّر اختطافها على هذا النحو يا سيِّدى .. لا ريب أن الهدف ليس مجرَّد اختطاف بعض رجال الشرطة ، فرجل الشرطة يحفظ الأمن الداخلى فقط ، ولا يحمل من الأسرار مايدفع دولة أو منظمة خطيرة إلى اختطافه .

اعتدل وزير الداخلية ، وصمت قليلًا قبل أن يقول :

ـــ اسمع أيها العقيد .. منذ مايقرب من أسبوعين ، أوقعت مباحث أمن الدولة التابعة لجهاز الشرطة ، بواحدة من أخطر شبكات الجاسوسية التى تم زرعها فى (مصر) ، والرجل الذى يتزعَّم هذه الشبكة هو أخطر خبراء التجسُّس فى العالم أجمع ، ومثل هذا الرجل يمثل ثروة قومية لدولته ، وليس من السهل تعويض خبرته مهما تكلَّف الأمر .

قال (أدهم) ، وقد بدأ الأمر يتضح له :

— إنها عملية قرصنة جوّية تهدف إلى الابتزاز إذن يا سيّدى .

أومأ وزير الداخلية برأسه موافقاً ، وقال :

— تمامًا أيها العقيد .. لقد تلقّينا إنذارًا من سفينة مجهولة فى المحيط الأطلسى ، بإطلاق سراح هذا الرجل (فيليب سمعون) ، أو يتم إعدام الضباط المائة ، ولقد أمْهَلنا الإنذار ثلاثة أيام فقط .

سأله (أدهم) ، وقد ضاقت عيناه :

— وما المطلوب منى بالضبط يا سيّدى الوزير ؟

قال وزير الداخلية وهو يتأمّله :

— لقد سبق لك القيام بعمليات مماثلة أيها العقيد ، لقد درسنا الأمر جيّدًا ، ووجدنا أن أى إجراء عسكرىّ ، قد يكون من شأنه إشعال حرب ثالثة ، واتفق مجلس الوزراء على وجوب إرسال فرقة انتحارية لإنقاذ الرهائن ، وحينئذ اقترح وزير الدفاع ، الذى

كان مديرك السابق فى المخابرات ، أن تتولّى أنت قيادة الفرقة ، وهذا ما نطلبه منك بالضبط .

نهض (أدهم) من مقعده ، وسار بضع خطوات داخل الحجرة ، وهو يعقد كفّيه خلف ظهره ، ثم التفت إلى مدير المخابرات ووزير الداخلية ، قائلًا :

— معذرة يا سيّدى الوزير .. ولكننى أعتقد أن مثل هذه العملية ، قد تنتهى بمجزرة نفقد فيها كل شىء .

عقد مدير المخابرات حاجبيه فى ضيق ، على حين قال وزير الداخلية :

— ماذا تقصد بالضبط أيها العقيد ؟

رفع (أدهم) سبّابته أمام وجهه ، وقال دون أن يلتفت إلى غضب رئيسه :

— إن جزءًا من تدريباتنا فى المخابرات ، يختص بكيفية استنتاج أسلوب وطريقة تفكير الخصم ، وهذا يحتاج إلى التفكير بعقليته لا بعقليتنا ، وحينما تقمّصت عقلية قراصنة الجوّ هؤلاء ، وتصوّرت نفسى أخسر كل

ما خطّطت له بسبب مجموعة انتحارية مصرية ، وجدت أننى سألجأ مباشرة إلى قتل كل مالدىّ من رهائن .

رفع وزير الداخلية حاجبيه ، وكأنما صدمته العبارة ، ثم التفت إلى مدير المخابرات ، الذى قال وهو يومئ برأسه ناحية (أدهم) :

— هذه واحدة من مزاياه ، فهو قادر على تقمُّص شخصية خصمه .. إلى نحو يجعله قادرًا على استنتاج كل خطواته المحتملة .

ابتسم وزير الداخلية ابتسامة شاحبة ، وهو يعود إلى النظر ناحية (أدهم) ، قائلًا :

— وماذا تقترح أيها العقيد ؟

لاحت على شفتى (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

— إنهم يطلبون (فيليب سمعون) ، فلنعطهم إيّاه إذن .

اتسعت عينا وزير الداخلية فى دهشة وهو يحدّق فى

وجه (أدهم) ، على حين التقى حاجبا مدير المخابرات ، وكأنه فهم ما يقصده (أدهم) ، وهتف وزير الداخلية :

— ماذا تقول أيها العقيد ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وقد لاح فى عينيه بريق عجيب :

— أقول إننا سنرسل إليهم (فيليب سمعون) يا سيّدى الوزير ، ولكنه سيكون القنبلة التى تحطّم قراصنة الجوّ هؤلاء .

* * *



٢ ـ البديل الشيطانى ..

وقف (فيليب سمعون) يتطلّع فى مزيج من الدهشة والريبة، إلى تلك الحجرة المسمطة الجدران، الخالية النوافذ، التى نقله إليها رجال مباحث أمن الدولة فى الصباح الباكر، وتساءل فى أعماق عقله عن السبب الذى دفع المصريين إلى عزله عن باقى أفراد شبكته .. ولم يطل تساؤله، إذ شعر بالباب يفتح خلفه، وسمع وقع خطوات هادئة واثقة تنساب إلى الحجرة، فالتفت نحو مصدرها وهو يتظاهر بالجرأة واللامبالاة، ولكن محاولته تلاشت فجأة، حينما وقع بصره على الرجل الوسيم، عريض المنكبين الذى يتطلّع إليه بنظرات صارمة ساخرة، تثير الرهبة فى القلوب .. وارتجف جسد (فيليب سمعون) ارتجافة قوية، وشحب وجهه، وسرَت البرودة فى أوصاله، وغصّ حلقه بالكلمات

حتى سمع الرجل المواجه له يقول فى لهجة تجمع ما بين الحزم والسخرية .

ـ ذلك الانفعال الأبله على وجهك، يؤكد معرفتك لى أيها الوغد .. أليس كذلك ؟

قال (أدهم صبرى) هذه العبارة، وهو يتحرّك فى خطوات بطيئة نحو (سمعون)، الذى تقهقر فى انزعاج واضح، مغمغمًا :

ـ لا يمكنك أن تؤذينى، أنت لا تنتمى إلى جهاز الشرطة .

جذبه (أدهم) من سترته، ونظر فى عينيه مباشرةً، وهو يقول فى صرامة :

ـ ولكننى أنتمى إلى (مصر)، التى حاولت الإساءة إليها أيها الوغد ..

حاول (فيليب سمعون) أن يعترض، ولكن عينى (أدهم) الصارمتين منعتاه من ذلك، فازدرد لعابه، وغمغم فى صوت أجش مرتعد :

ـ ماذا تريد منّى أيها الشيطان المصرى ؟

دفعه (أدهم) فى خشونة، ليرتطم بالحائط، ثم أولاه ظهره، وهو يقول فى هدوء :

ـ كل شىء أيها الوغد، ستخبرنى بكل ما تعلمه عن قراصنة الجوّ، وجُزُر (أزورس)، وخُطّة اختطاف الرهائن .. ستخبرنى بكلّ ما تعرفه منذ حداثتك .

فتح (فيليب سمعون) فمه ليهتف أن هذا محال، ولكن عقله أطلق شريطًا من الأفكار المتلاحقة، والمعلومات التى سمعها وقرأها عن هذا الشيطان الماثل أمامه، والمعروف فى دولته باسم (أدهم صبرى)، أسعفته ذاكرته بكل مالديها من الهزائم المتوالية الساحقة التى أصابهم بها (رجل المستحيل) ..

وازداد ارتجاف جسد عبقرى التجسُّس، حينما تصوَّر نفسه يواجه ذلك الرجل، الذى انهارت أمامه أعظم منظمات الجاسوسية الإجرامية فى العالم، والذى أخضع ملوك التجسُّس، وعباقرة المخابرات فى القارات

الست، والذى فشلت أعظم الخُطَط فى الإيقاع به برغم صورته المنقوشة فى ذاكرة الجميع، والتى يحملها كل رجال (الموساد) فى محافظهم الخاصة ...

كان (فيليب سمعون) ينوى المقاومة، إلّا أنه وجد نفسه يتمتم فى استسلام أدهشه، دون أن يثير أى تعجب فى نفس (أدهم صبرى) .

ـ سأخبرك بكل شىء .. سأقص عليك كل ما لدىّ .

* * *

استمع وزير الداخلية فى اهتمام، إلى الاعترافات التى سجلتها أجهزة الشرطة لـ (فليب سمعون)، وقال وهو يغلق جهاز التسجيل مع نهاية الاعتراف :

ـ عظيم .. لقد نجح العقيد (أدهم صبرى) فى الحصول على اعتراف كامل من هذا الجاسوس .. لا شك أن رجال (الموساد) يرهبونه بشكل خارق للمألوف .

وفى تلك اللحظة دخل أحد رجال الشرطة إلى مكتب الوزير ، وأدَّى التحيَّة العسكرية وهو يقول فى احترام :

ـــ لقد أحضرنا الجاسوس يا سيِّدى .

نظر إليه الوزير فى دهشة ، واستدار إلى ضابط برتبة مقدَّم يقف إلى جوار مكتبه ، وسأله :

ـــ من الذى طلب إحضاره إلى هنا ؟

أجابه المقدَّم :

ـــ إنه سيادة العقيد (أدهم) يا سيِّدى الوزير ، لقد طلب منا إحضار (فيليب سمعون) إلى مكتبك .

عقد وزير الداخلية حاجبيه ، وهو يتساءل عن السبب الذى حدا بـ (أدهم) إلى طلب ذلك ، ولكنه أشار بيده إشارة تعنى السماح بدخول الجاسوس ، وعلَّق بصره بباب مكتبه ، حينما دلف رجل طويل القامة ، بنى الشعر ، مصفَّفه فى عناية ، له شارب كثّ ، اختلطت فيه الشعيرات البنّية بالبيضاء ، وله

عينان زرقاوان ، وأنف مقوَّس طويل ، وذقن مشقوقة تزيّنها بقعة بنيَّة داكنة ، وتحيط الأغلال الحديدية بمعصميه ، على حين يتبعه أحد ضباط الشرطة ، واضعًا كفَّه على كتفه ..

أشار وزير الداخلية إلى (فيليب سمعون) ، قائلًا :

ـــ إجلس يا سيِّد (فيليب) .. لقد استمعت إلى اعترافاتك المسجلة فى ....

قاطعه (فيليب سمعون) ، قائلًا بصوته الأجش وبلهجته الجافة :

ـــ لا تصدِّق كلمة واحدة مما سمعته ، لقد أراد رجل المخابرات الحصول على اعتراف ، فأعطيته إيَّاه ، ولكنه لم يؤكد ضرورة الحصول على اعتراف صادق .

قال وزير الداخلية فى غضب :

ـــ ماذا تعنى بهذا العبث يا (سمعون) ؟ إنك ترغمنا على اتخاذ إجراءات عنيفة بشأنك .

ابتسم (سمعون) ابتسامة شرسة ، وهو يقول :

ـــ لن يمكنكم فعل شىء يا سيِّدى ، سيعدم رجالنا ضباطكم إذا ما أصابنى أدنى سوء ، أنتم مضطرون للإفراج عنّى .

استاء وزير الداخلية لوقاحة (فيليب سمعون) ، فنهض من مقعده ، وواجهه قائلًا فى غضب :

ـــ إنك تتحدَّى دولة قوية يا (سمعون) ، ولن يمكنك أن تنتصر مطلقًا .

لم يبد أدنى خوف على وجه (فيليب سمعون) ، وهو يقول :

ـــ كم مرة قابلتنى شخصيًّا يا سيِّدى الوزير ؟

ازداد غضب الوزير ، وهو يقول :

ـــ ماذا يعنى هذا السؤال السخيف يا (سمعون) ؟.. لقد تقابلنا أكثر من عشر مرات منذ وقعت فى أيدينا .

ارتسمت ابتسامة عجيبة على شفتى (سمعون) ، وهو يقول فى صوت مختلف :

ـــ إذن فتنكُّرى ناجح إلى حدٍّ كبير .

اتسعت عينا وزير الداخلية ، وهو يهتف فى دهشة :

ـــ العقيد (أدهم صبرى) ، ولكن هذا مستحيل .. إن تنكُّرك رائع للغاية ، أكاد أقسم أننى كنت أتحدث طوال الوقت مع (فيليب سمعون) بصوته الأجش ، وأسلوبه السخيف .. إنها معجزة ، إنك لم تلتق به لأكثر من ساعتين صباح اليوم .

قال (أدهم) فى هدوء ، وهو يمد يده للشرطى ليرفع عنها الأغلال :

ـــ كان لابدَّ من خوض هذه التجربة ، للتأكُّد من إتقانى الدور يا سيِّدى الوزير ، معذرة للهجة الجافة التى تحدَّثت بها .

صاح وزير الداخلية فى إعجاب :

ـــ الأمر لا يستحق الاعتذار أيها العقيد .. لقد كان ذلك رائعًا ، أنت قادر على خداع والدة (سمعون) هذا شخصيًّا ..

ابتسم (أدهم) وهو يقول .

ــ أتمنّى ألّا يصل الأمر إلى هذا الحدّ يا سيّدى .

قال وزير الداخلية فى انفعال يعكس ما تموج به نفسه :

ــ إذن فأنت ستذهب إلى جزر (أزورس) وكأنك (فيليب سمعون) ، وسنضمن بذلك الإفراج عن الرهائن من رجال الشرطة ، بعد أن يطمئن قراصنة الجوّ إلى حصولهم على رجلهم ، إنها خطّة ممتازة ، ستضمن لنا إنهاء العملية بأقل قدر من الخسائر .

قال (أدهم) وهو يبتسم ابتسامة غامضة :

ــ نعم يا سيّدى ستقتصر الخسائر على شخص فقط .

تنبّه وزير الداخلية إلى مغزى كلمات (أدهم) ، فوجم لحظة ، ثم غمغم فى أسف :

ــ يا إلٰهى !! إننا لم نفكّر فى هذا ، إن عودة رهائننا تعنى فقدك أيها البطل .

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ ربّما لا يصل الأمر إلى هذا النحو يا سيّدى .

عقد الوزير حاجبيه ، قائلًا :

ــ ستكون وحدك على جزيرة يملكها القراصنة ، فكيف يمكنك النجاة ؟ .. وماذا لو أنهم كشفوا أمرك بعد الإفراج عن الرهائن ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال فى هدوء :

ــ سيكون هذا من سوء حظّهم يا سيّدى .

* * *



٣ ــ وثيقة الاستسلام ..

حلّقت الطائرة المصرية الصغيرة فوق جزر (أزورس) ، بعد الفجر بلحظات قليلة ، وأرسل قائدها نداءً لاسلكيًا على الموجة التى أبلغها قراصنة الجوّ ، ولم يكد ينتهى حتى انطلقت من إحدى الجزر ثلاث طائرات حربية مجهولة الهويّة ، أخذت تدور حوله فى مناورة دائرية منظمة للتأكد من خُلُوّ طائرته من الوسائل القتالية ، ثم لم يلبث قائد الطائرة المصرية أن تلقّى رسالة عَبْر أجهزة اللاسلكى تقول :

ــ فليهبط مستر (فيليب سمعون) بالمظلّة إلى المحيط ، وسنقوم بالتقاطه بأنفسنا .

مطّ قائد الطائرة المصرية شفتيه ، وقال :

ــ أليس من الأفضل أن أهبط به فى مطاركم ؟

جاءته الإجابة حاسمة جافة :

ــ أطع الأوامر دون مناقشة ، إنه يجيد الهبوط بالمظلّة بأفضل مما تسير أنت على قدميك .

استدار قائد الطائرة إلى (أدهم صبرى) ، وقال فى لهجة مداعبة وهو يفصل الاتصال :

ــ مارأيك يا صديقى ؟

تناول (أدهم) مظلة هبوط ، وأخذ يثبت أربطتها حول جسده وهو يقول :

ــ سننفّذ الأوامر يا صديقى ، إن تقمّصْ دور (سمعون) هذا يرُوق لى .

أعاد قائد الطائرة الاتصال اللاسلكى ، وقال وهو يبتسم :

ــ حسنًا .. سيهبط رجلكم فورًا ، وعليكم الإسراع بالتقاطه قبل أن تلتهمه واحدة من أسماك القرش .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى كان (أدهم) قد ألقى جسده فى الهواء ، وسبح بضع لحظات فى السماء



ولم يكد يتم عبارته ، حتى كان (أدهم) قد ألقى جسده فى الهواء ، وسبح بضع لحظات فى السماء

كطائر ضخم ، قبل أن يفتح مظلته ، ويبدأ الهبوط فى بطء ، على حين غمغم قائد الطائرة ، وهو يعود أدراجه إلى حاملة الطائرات التى تنتظره على بعـــد عدة كيلومترات :

ـــ من الواضح أنه محترف حقيقى ، فهو لم يتردَّد لحظة واحدة قبيل القفز ، سأشعر بحزن بالغ إذا ما قتله هؤلاء القراصنة .

* * *

وقف رجل ضخم الجثة ، عريض المنكبين غليظ الملامح ، يراقب المظلة الهابطة بحملها من خلال منظار معظَّم ، ثم التفت إلى رجل ضئيل الجسد نحيله ، له وجه مستطيل ، وأنف معوجّ ، وقال :

ـــ لقد هبط يا مستر (أشكول) ، ولكننى لم أفهم بعد سبب إصرارك على هبوطه بالمظلة ؟

ابتسم (أشكول) ، وقال فى لهجة ذات نبرات هادئة :

ـــ ليس من العجيب أن يصعب عليك دائمًا فهم ما أرمى إليه يا عزيزى (بنيامين) ، فهذا يعود إلى فارق الذكاء بيننا .

تطلَّع إليه (بنيامين) فى دهشة لا تخلـــو من الغضب ، ثم قطَّب حاجبيه وهو يهم بسؤاله عمَّا يعنيه ، إلَّا أن (أشكول) واصل حديثه قائلًا :

ـــ لقد حصل كل منا على النصيب نفسه عند الخلق ، ولكن نصيبك كله ذهب إلى جسدك ، على حين حصل عقلى أنا على الجزء الأكبر من نصيبى .

هزَّ (بنيامين) رأسه وهو يحاول فهم كلمات رئيسه ، ولكنه عجز عن استنباط العلاقة بين جسده الضخم ، وهبوط (سمعون) بالمظلة ، فلم يجد بدًا من أن يقول :

ـــ ولكـــن هذا لا يفسر ما حدث يا مستـــر (أشكول) !!

ابتسم (أشكول) ابتسامة واسعة غطت معظم وجهه النحيل ، وقال :

ـــ سأحاول أن أشرح لك يا (بنيامين) .. إن (سمعون) بحكم خبراته المكتسبة من تدريباتنا فى (الموساد) ، يجيد الهبوط بالمظلة ، على حين لا يتلقَّى رجال الشرطة فى (مصر) تدريبات مماثلة ، وهذا وحده كفيل بكشف أى بديل يحاول المصريون إرساله بدلًا منه .

ثم تناول المنظار المعظم ، ووضعه على عينيه ، يتأمَّل الرجل الهابط بالمظلة ، مستطردًا :

ـــ ولكننى فى الواقع لم أكن أتصوَّر أن يكون (سمعون) بمثل هذه المهارة .

ظلَّ (أشكول) يراقب هبوط المظلة ، حتى استقر صاحبها فوق سطح المحيط ، ورأى القارب البخارى الذى انطلق من الجزيرة لالتقاطه ، فرفع المنظار عن عينيه ، وعاد يناوله إلى (بنيامين) قائلًا :

ـــ بالإضافة إلى ذلك أردت أن أمنع الطائرة المصرية من معرفة مطارنا السِّرّىّ يا عزيزى (بنيامين) .

ثم أشار بيده إشارة غامضة ، وهو يقول :

ـــ والآن علينا الاستعداد لاستقبال (فيليب سمعون) ، فهو سيجتاز العديد من الاختبارات ، ليثبت لنا أنه (سمعون) الحقيقى .

* * *

كان (أدهم) قد انتهى توًّا من ارتداء قميص جاف ، داخل الغرفة التى صحبه إليها رجال (أشكول) ، عندما رأى هذا الأخير يدخل الحجرة ، ويقف ببابها ، متأمِّلًا إيَّاه بعينيه الفاحصتين ، فرسم على وجهه ابتسامة مرحة ، وقال بعد أن عرف الرجل من الوصف الذى ألقاه (فيليب) على مسامعه فى (مصر) .

ـــ يا عزيزى (أشكول) ، كيف يمكننى شكرك على كل ما فعلت من أجلى ؟

تأمَّله (أشكول) فى بطء ورويَّة ، وجاست عيناه

فى بدن (أدهم) من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، قبل أن يقول فى حروف بطيئة :

ـــ عجبًا !!.. إنك تبدو لى أطول قامة ، وأشد قوة من ذى قبل يا عزيزى (سمعون) ، حتى منكباك ازدادا عرضًا وقوة .

ارتسمت على شفتى (أدهم) تلك الابتسامة المقيتة التى يشتهر بها (فيليب سمعون) ، وخرج من بين شفتيه صوت أجش خبيث ، يصعب التفريق بينه وبين صوت هذا الأخير ، وهو يقول :

ـــ الإنسان لا يزداد طولًا بعد مرور فترة المراهقة يا صديقى ، ولكن التدريبات الشاقة التى نتلقاها فى (الموساد) تؤدى حتمًا إلى مزيد من العضلات .

ثم غمز بعينه وهو يستطرد :

ـــ ولا تنس أننا لم نتقابل شخصيًا منذ ستة أعوام على الأقل .

ضاقت عينا (أشكول) وهو يلوح بيده ، قائلًا :

ـــ نعم .. منذ عملية (القاهرة الحمراء) .

كتم (أدهم) ابتسامة ساخرة كادت تقفز إلى شفتيه ، فلقد تنبَّه فورًا إلى محاولة (أشكول) لاختباره ، إذ كان يعلم من خلال عمله بالمخابرات ، أن (فيليب سمعون) لم يشارك مطلقًا فى العملية الفاشلة لل (موساد) ، والمعروفة بالاسم الكودى (القاهرة الحمراء) ، ولكنه قال فى لهجة غاضبة :

ـــ أنت تعلم أننى لم أشارك فى عملية (القاهرة الحمراء) يا (أشكول) .

ظهر الارتياح على وجه (أشكول) ، وقال وهو يواصل فحص (أدهم) بناظريه :

ـــ مرحبًا بك فى (أزورس) يا عزيزى (سمعون) .

ثم أردف ، وقد بدأ بريق خبيث ينبعث من عينيه :

ـــ ولكنك تعلم إجراءات الأمن بالطبع ، وعليك أن تخضع لاختبارات التحقق من شخصيتك .

قال (أدهم) متصنِّعًا الغضب :

ـــ ماهذا السخف يا (أشكول) ؟

تبدَّلت لهجة (أشكول) إلى الصرامة ، وهو يقول :

ـــ ستخضع لها يا (سمعون) ، فبرغم ميلى إلى التأكد من شخصيتك ، إلَّا أننى أرفض تمامًا أى احتمال للخطأ ، فأنا أعرف المصريين ، ووسائلهم الشيطانية ، وأصارحك أنه لدىَّ أوامر بقتلك عند أول بادرة شك .

غمغم (أدهم) متظاهرًا بالغضب :

ـــ قتلى ؟.. ياللعار !! ألا يثق (الموساد) فى رجاله ؟

قال (أشكول) فى صرامة :

ـــ نحن لا نثق فى أحد ، ستخضع للاختبار ، أو تلقى مصرعك فورًا .

أشاح (أدهم) بيده فى حركة توحى بالضجر والغضب ، وقال :

ـــ افعل مابدا لك يا (أشكول) ، تبًّا لنظام الأمن السخيف هذا .

تألقت عينا (أشكول) فى دهاء ، وهو يقول :

ـــ سنبدأ الاختبار الأول فورًا .

ضاقت عينا (أدهم) وهو يحدّق فى وجه (أشكول) ، قائلًا :

ـــ أى اختبار هذا ؟

أجابه (أشكول) فى لهجة بدت أقرب إلى التشفى :

ـــ سنختبرك بجهاز كشف الكذب يا عزيزى (سمعون) .

* * *



٤ ـــ عقول وشياطين ..

ـــ من أنت ؟

عبر السؤال أذنى (أدهم) ، وتسلل إلى عقله وهو يجلس على مقعد جلدى ، وتمتد من جسده عدة أسلاك تتصل بجهاز كشف الكذب ، وتلتصق بجلده عن طريق شفاطات مطاطيّة صغيرة ، وأعاده السؤال إلى ذكريات قديمة ، حينما خدع جهاز كشف الكذب يومًا فى قلب (إسرائيل) ، مستعينًا بمادة كيميائية أعدتها أجهزة المخابرات المصرية خصيصًا(*) .. وتذكر أنه هذه المرة لم يجد الوقت الكافى لاستخدام تلك المادة ، وأن عليه خداع جهاز كشف الكذب عن طريق التحكّم فى أعصابه فقط ، وساعدته تلك الأعصاب الفولاذية على أن يظل هادئًا ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم (٣١) .

ـــ أنا (فيليب سمعون) ، ضابط فى (الموساد) .

تنهّد الجميع فى ارتياح ، حينما لم تقفز إبرة مؤشر الجهاز مؤكدة كذب المتحدّث ، وتقدّم أحد الحاضرين يحل الأسلاك من جسد (أدهم) ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :

ـــ لقد كان هذا هو السؤال الأخير يا مستر (سمعون) .

تمتم (أدهم) فى ضجر :

ـــ حسنًا .. هل من اختبارات أخرى ؟

تقدّم منه رجل آخر ، قائلًا :

ـــ سنحصل على بصماتك فقط ، لنقارنها بما لدينا هنا يا مستر (سمعون) .

تركه (أدهم) يطبع البصمات فوق لوح من الكرتون ، ثم مسح يده وهو يلتفت إلى (أشكول) ، قائلًا :

ـــ هل تودون تشريحى لمزيد من التأكّد ؟

كانت ابتسامة (أشكول) تعبّر عن ارتياحه ، وتأكّده التام من شخصية محدّثه ، وهو يقول :

ـــ كلّا يا عزيزى (سمعون) ، سنكتفى بهذا .. لقد حان الوقت لتفقد ذلك المقر الرائع الذى دفعت حكومتنا مبلغًا باهظًا لإعداده .

تحسّس (أدهم) الأطراف المطّاطية التى تغطّى أنامله ، والتى تحمل بصمات (فيليب سمعون) الأصلى ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـــ نعم يا عزيزى (أشكول) ، إننى أتوق لذلك .

* * *

ظلّت ملامح (أدهم صبرى) هادئة ، لا تحمل شيئًا مما تموج به نفسه ، وهو يتطلّع إلى المقر القتالى فى تلك الجزيرة الصغيرة من جزر (أزورس) ، كان المكان عبارة عن عدة مبان متناثرة ، يتكوّن كل منها من طابق واحد ، يتوسطها مهبط للطائرات ، استقرت فوقه عشر طائرات من طراز (الفانتوم) الحديثة ، وينتهى أحد طرفى المهبط

المصنوع من صفائح الصلب بحافة الشاطئ ، على حين يوجد مبنى صغير فى الطرف الآخر ، يعلوه برج معدنى للاتصالات اللاسلكيـة ، وكل هذه المنشآت مغطـاة بشبكة من الأسلاك تحيط بها النباتات ، بحيث يصعب كشفها من أى طائرة تجسُّس .. وعلى الشاطئ نفسه استقر يخت ضخـم ، يبدو كواحـد من اليخـوت الرياضية ، يملكه أحد الأثرياء ، وفى ركـن خاص من المهبط استقرت الطائرة المدنية المصرية التى اختطفهـا قراصنة الجوّ ، وقال (أشكول) وهو يشير إليها :

ـــ لقد قام رجالنـا بعمـل بطولىّ ، حينما أجبروا الطائرة المصرية على الهبوط هنا .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال وهو يختلس النظر إلى (بنيامين) بجسده الضخـم ، وعضلاتـه المفتولـة ، وملامحه الغليظة :

ـــ الانتصار على طائرة مدنية لا يمثل أى نوع من البطولة ، فهى غير مزوَّدة بأىّ أسلحة قتالية ، أو دفاعية .

قال (أشكول) فى غضب :

ـــ ولكنها تحمل مائة من ضباط الشُّرطة المصريين .

أجابه (أدهم) فى برود :

ـــ لم يكن أحدهم يحمل سلاحًا للدفاع عن نفسه .

تصلَّبت نظرات (أشكول) ، وهو يقول فى صوت أقرب إلى الخفوت :

ـــ نعم .. هذا صحيح .

استمـع (بنيـامين) إلى الحديث دون أن يفهـم مغزاه ، وفتح فمه وهو يهم بالتحدُّث فى محاولة لتأكيد وجوده ، ولكنه لم يجد ما يقوله ، فعاد يغلق شفتيه ، ويلُوذ بالصمت ، على حين قال (أدهـم) فى لهجة صبغها باللامبالاة :

ـــ ومتى سيرحل الضباط المصريون إلى دولتهم ؟.

بدا بريق شرس فى عينى (أشكول) ، وهو يقول :

ـــ هل نسيت قواعد اللُّعبة يا عزيزى (سمعون) ؟..

إننا لن نفعل ذلك بالطبع .

التفت إليه (أدهم) فى دهشة حقيقية ، كادت تدفعه إلى التحدُّث بصوته الأصلى ، لولا أنه تدارك نفسه بسرعة ، فقال مستخدمًا صوت (سمعون) الأجش :

ـــ ماذا يعنى هذا ؟.. لقد أطلق المصريون سراحى ، وعلينا أن ننفِّذ الجزء الذى يخصّنا من الاتفاق .

هزَّ (أشكول) رأسه فى بطء ، وقال دون أن يرفع عينيه الفاحصتين عن (أدهم) :

ـــ خطأ يا عزيزى (سمعون) ، إنك تخالـف كل ما تعلَّمناه فى (الموساد) .. إننـى لن أسمح بإطلاق سراح مائة رجل يمتاز كل منهم بالفراسة ، ويمكنهم نقل وصف كامل لمقرنا ووسائله الدفاعية .

غمغم (أدهم) فى غضب :

ـــ ولكننا كشفنـا المقرّ بالفعل ، حينما أحضرنى المصريون إلى هنا .

ابتسم (أشكول) ابتسامة تفيض دهـاءً ، وهـو يقول :

ـــ لقد عرفوا المقر فقط ، ولكنهم لم يطَّلعـوا على ما بداخله ، وهذا يختلف .

سأله (أدهم) فى لهجة توحى باللَّامبالاة :

ـــ وماذا تنوى أن تفعل بالضباط المائة إذن ؟

رمقه (أشكول) بنظرة غامضة ، ثم قال فى هدوء :

ـــ لقد أصدرت أوامرى بإعدامهـم جميعًا ، مع الدَّقة الثانية عشرة لمنتصف الليل يا عزيزى (سمعون) .

* * *



٥ ــ القناع الذائب ..

عقد (بنيامين) حاجبيه الغليظين ، وأخذ يحكّ رأسه فى شدّة ، وهو يحاول فهم ما يحدثه به زعيمه ، ولكن عقله المحدود لم ينجح فى التوصُّل إلى ما يهدف إليه (أشكول) ، فقال فى لهجة حائرة :

ــ لست أفهم شيئًا هذه المرة .. يا مستر (أشكول) ، بل لم أعد أفهم شيئًا بالمرة .. لقد تأكَّدت تمامًا من شخصية مستر (سمعون) ، وأطلعته على أسرار مقرّنا الجديد ، ثم عدت تدسّ له المخدر فى شرابه وطعامه ، وتقول إنه ليس (سمعون) الذى نعرفه .. فماذا يعنى هذا ؟

ابتسم (أشكول) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ــ أعترف أن المصريين قد نجحوا فى خداعنا إلى حدّ كبير برجلهم الزائف هذا ، فهو متنكّر بمهارة بالغة ،

بحيث يستحيل تمييزه عن (فيليب سمعون) الأصلى ، وحنجرته مرنة إلى أقصى درجات المرونة ، ولقد خدع جهاز كشف الكذب بأعصاب حديدية ، وأعطانا بصمات تطابق تمامًا بصمات (سمعون) ، ولاشك أنه استخدم أطرافًا مطّاطيّة شفافة مطبوعة ، ولكنه برغم كل هذه المهارات وقع فى خطإ واحد كشف أمره .

عاد (بنيامين) يحكّ رأسه فى محاولة يائسة للفهم ، ثم توصَّل عقله إلى أن زعيمه (أشكول) يفُوقه ذكاءً بمراحل عدة ، ومادام يقول هذا ، فهو على صواب ؛ لذا فقد اكتفى بأن يسأله :

ــ وما هذا الخطأ يا سيِّدى ؟

ابتسم (أشكول) ، وقال :

ــ عندما تحدَّثنا عن ضباط الشرطة الذين أسرناهم ، احتج هو بأن أحدهم لم يكن يحمل سلاحًا للدفاع عن نفسه .

حاول (بنيامين) أن يجد رابطًا بين النقطتين

بتفكيره المحدود ، إلّا أن (أشكول) لم يمنحه الوقت الكافى للتفكير ، إذ أسرع يستطرد :

ــ إن أحدنا لم يخبره بذلك ، ومن المستحيل أن يكون المصريون هم الذين أخبروه .. هذا لو أنه (سمعون) الحقيقى ، فمن أين له أن يعرف هذه الحقيقة إذن ؟

أمّن (بنيامين) على حديث رئيسه دون أن يفهم معناه ، قائلًا :

ــ نعم .. كيف عرف ؟

قال (أشكول) ، وهو يحرك سبَّابته أمام وجهه :

ــ المصريون وحدهم يعرفون ذلك ، وهذا ما أخطأ فيه بديل (سمعون) هذا دون أن ينتبه .

عاد (بنيامين) يسأل زعيمه :

ــ لماذا وضعنا له المخدِّر إذن ؟

مال رأس (أشكول) جانبًا ، ومطَّ شفتيه وهو يقول :

ــ إن انتحال شخصية (فيليب سمعون) بكل هذه البراعة والإتقان ، شكليًّا وصوتيًّا وحركيًّا ، يحتاج إلى رجل له شجاعة الأسود ، وجرأة الخيول ، وقوة الذئاب ، وذكاء الثعالب ، باختصار إنه يحتاج إلى شيطان يا (بنيامين) .

غمغم (بنيامين) فى دهشة :

ــ شيطان يا مستر (أشكول) ؟!!

شدَّ (أشكول) قامته الضئيلة ، وقال :

ــ نعم يا عزيزى (بنيامين) ، شيطان واحد فى هذا الكون يمكنه أداء مثل هذا العمل ، شيطان يسمَّى (أدهم صبرى) .

انحنت رقبة (بنيامين) إلى الأمام ، واتسعت عيناه عن آخرهما ذهولًا ، وتدلَّت فكّه السفلى فى بلاهة ، فابتسم (أشكول) قائلًا :

ــ لا تبدو أبله هكذا يا (بنيامين) .. إنك لم تقابل ذلك المصرى ، أو تسمع عنه من قبل ..

ولكنَّ (بنيامين) ظل فى موضعه ، كما لو كانت ملامحه قد تجمَّدت على هذا الوضع ، فصاح فيه (أشكول) فى عصبية :

ــ فيم تحدّق هكذا كالأبله ؟

ثم تنبَّه فجأة إلى أنَّ عينى (بنيامين) مشدودتان بمشهد آخر خلفه ، فدار على عقبيه فى سرعة وحِدَّة ، يتطلَّع إلى حيث يحدّق (بنيامين) ، ولم يكد يفعل حتى تسمَّرت أطرافه فى ذُعر ودهشة ، ودفع بصره على (أدهم صبرى) فى زىّ (سمعون) ، يصوِّب إليه مسدسًا ضخمًا ، وسمعه يقول فى لهجة ساخرة :

ــ أنت محقّ فى كل كلمة نطقت بها أيها الوغد .

* * *

ظلَّ الصمت يخيم على جوِّ الغرفة لحظات ، و (أشكول) يتطلَّع فى دهشة إلى (أدهم صبرى) ، على حين ظلَّت معالم البلاهة واضحة على وجه

(بنيامين) ، الذى لم يفهم ما يدور حوله .. وأخيرًا قطع (أشكول) حبل الصمت ، قائلًا :

ــ أنت لم تتناول المخدِّر .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ــ إنها لعبة قديمة سئمت تحدِّيها يا (أشكول) .. لقد تراجعت فجأة عن سخافاتك العنصرية ، عندما تحدَّثنا عن عدم حمل ضباط الشرطة للأسلحة .. ولقد رابنى تراجعك المفاجئ هذا ، حتى أننى شككت فى أنك قد كشفت أمرى بوسيلة ما ، وكان من الطبيعى أن أشك فى الطعام والشراب الإضافى الذى أرسلته إلى حجرتى ، فتسلَّلت إلى هنا لأستمع إلى حديثك مع هذا الغوريلا الغبىّ .

تلفَّت (بنيامين) حوله ، يبحث عن الغوريلا التى تحدَّث عنها (أدهم) ، فلمَّا لم يجدها ، قطَّب حاجبيه فى حَيْرة وغضب ، وسمع رئيسه يقول فى حنق بالغ :

ــ لن يمكنك الهرب من هنا ، حتى ولو قتلتنا أيها الشيطان .

قفز (أدهم) من حاجز النافذة التى تسلَّل منها ، واقترب من (أشكول) و (بنيامين) ، وهو يقول فى لامبالاة :

ــ وكيف هذا أيها الوغد ؟ .. إن رجالك يعرفون حتى الآن إننى زميلهم الهمام (فيليب سمعون) ، ولن يعترض أحدهم طريقى .



إن رجالك يعرفون حتى الآن إننى زميلهم ..

ابتسم (أشكول) ابتسامة شرسة متشفِّية ، وقال :

ــ خطأ أيها الشيطان المصرى ، إنك تهين عبقريتى بحديثك هذا ، لقد أصدرت أوامرى فور كشفى أمرك بمنعك من التَّجوال فى أنحاء الجزيرة ، إلَّا بتصريح خاصّ منى ، ولو أنك حاولت الاقتراب من المبنى الذى سجنَّا فيه ضباطكم ، سيطلق رجالى النار على رأسك مباشرةً .

كان (أشكول) يتوقَّع أن ينهار (أدهم) عند سماعه ذلك ، ولكنه بدلًا من هذا ابتسم فى سخرية ، وقال وهو يلوِّح بمسدسه فى وجه (أشكول) :

ــ جميل منك أن أخبرتنى بذلك أيها الوغد ، فهذا يجعلنى أضع خُطَّتى على نحو أفضل ..

شعر (أشكول) بالغضب يملأ نفسه ، ودفعه هذا الغضب إلى إتيان عمل لم يتوقَّع يومًا أن يقدم عليه ، فقد طوَّح بكفِّه فى سرعة وقوة ، وضرب المسدس الذى يمسك به (أدهم) ، ثم قفز إلى الخلف ، وصاح فى وجه (بنيامين) :

— اقتله يا (بنيامين) ، لا تدعه يخرج من هنا حيًّا .

وبرغم الغباء الذى تميَّز به (بنيامين) ، إلَّا أنه كان مؤهَّلًا لعمل واحد يجيده غاية الإجادة ، ألا وهو القتال ؛ لذا فقد قفز مُتَّخذًا وضعًا قتاليًا ، يحُول بين (أدهم) ومسدسه الملقى على الأرض ، ثم كشَّر عن أنيابه ، وانقض على فريسته .

* *



٦ — الشيطان والغوريلَّا ..

برغم قامة (أدهم) المديدة الفارغة ، وعضلاته المفتولة ، إلَّا أنه بدا كالقزم أمام جسد (بنيامين) العملاق ، وكان أول ما فعله (أدهم) هو أنه مال جانبًا ، متفاديًا لكمة ساحقة وجَّهها إليه (بنيامين) ، ثم أطلق قبضته فى وجه هذا الأخير ...

هوت قبضة (أدهم) كالقنبلة على فكِّ (بنيامين) ، وارتفع صوت الارتطام عاليًا مقززًا ، إلَّا أن (بنيامين) لم يهتز ، واكتفى بإطلاق خوار كخوار الثور ، وهو يعاود انقضاضه على (أدهم) ..

كان العملاق يشبه دبَّابة مدرَّعة ، لا تعى من الدنيا سوى القتال والتدمير ، وبرغم كل ما يكتنف عقله من ضباب الجهل ، إلَّا أنه كان يجيد القتال فى مهارة وحنكة فائقتين ، وهذا يعود بالطبع إلى أن هذا هو كل ما جنَّد له

نفسه منذ حداثته ، ولو أن القتال بين رجلين يقتصر دائمًا على قدراتهما الجسدية ، لكان من الطبيعى أن ينتصر (بنيامين) على بطلنا ، ولكن مثل هذه الأمور تعتمد دائمًا على ماهو أكثر من ذلك ، وإذا كان (بنيامين) يفوق (أدهم) جسديًّا ، إلَّا أن (رجل المستحيل) يتفوَّق فى كل ماعدا ذلك ..

عادت قبضة (بنيامين) تهوى كمطرقة من الصلب على وجه (أدهم) ، وكان (أدهم) يعلم أن مثل هذه القبضة كفيلة بتهشيم جمجمته إذا ماهوت عليها ، وكان عليه إذن ألَّا يسمح بحدوث ذلك ، لذا فقد مال جانبًا متفاديًا اللُّكمة ، ثم أرسل إشارة من مخِّه إلى كل عضلات جسده ، التى استجابت فى مرونة مذهلة ، وتحركت قبضتاه فى سرعة البرق ، لتهويا على أنف (بنيامين) بعدة لكمات متوالية قوية ، أودعها (أدهم) كل مالديه من قوة ، كان من أثرها أن تحطَّم أنف الغوريلا البشرى ، وأطلق (بنيامين) خوار ألم ،

وهو يرفع كفَّيه ليغطى أنفه المحطَّم ، الذى سالت منه الدماء ، ولكن (أدهم) لم يمهله ، بل عاد يهوى على جانبى عنقه بضربات متلاحقة ، مستخدمًا حافتى راحتيه ، وصرخ (بنيامين) فى ألم ، وزأر فى غضب ، ولكن (أدهم) لم يتوَّقف ، وواصل لكماته فى عنق العملاق ، وفكِّه ومعدته .

كان (أشكول) يراقب الموقف مطمئنًا فى البداية ، ثم بدأ يشعر بالقلق ، حينما رأى (أدهم) يتحرَّك فى سرعة كالشيطان ، متفاديًا كل لكمة يوجِّهها إليه (بنيامين) ، وموجِّهًا لكماته فى قوة ومرونة وحزم ، إلى كل جزء من جسد هذا الأخير ، فأسرع (أشكول) إلى هاتفه الخاص ، واستنجد برجاله .. ولم يكد ينتهى حتى صك مسامعه خوار كخوار ثور يحتضر ، فاستدار خلفه فى رعب ، وارتجف جسده حينما رأى (بنيامين) يسقط على الأرض كالحجر ، والدماء تنزف من فمه

وأنفه ، مختلطة بأسنانه المحطَّمة ، ورأى (أدهم) يقفز نحوه ، وشعر به يجذبه من سترته ، قائلًا فى صرامة :

ــ والآن أيها الوغد .. ستصحبنى إلى حيث ضباطنا ، لنطلق سراحهم معًا .

كان الخوف الذى تموج به نفس (أشكول) ، كفيلًا بطاعته الأمر دون مناقشة ، لولا أن اقتحم غرفته خمسة من رجاله بمدافعهم الرشاشة ، مما أعاد إليه جرأته ، فصرخ فى جنون :

ــ لا تسمحوا له بالخروج من هنا حيًّا .. إنه جاسوس .

* * *

ارتفعت فوَّهات المدافع الرشاشة نحو (أدهم) ، فور سماع حامليها لأمر زعيمهم ، ولم تكن المسافة التى تفصلهم عن (أدهم) تكفى لتفادى الرصاصات ، ولكن عقل (رجل المستحيل) عاد يعمل فى سرعته المذهلة ، التى تتحدَّى أحدث أجهزة الكمبيوتر ،

وتوَّصل إلى حلٍّ سريع ، فانتزع (أشكول) من مكانه بذراعيه الفولاذيتين ، وطوَّق عنقه بذراعه ، ثم صنع منه درعًا يحُول بينه وبين فوَّهات المدافع الرشاشة ..

تردَّد رجال (أشكول) حينما رأوا زعيمهم أمام مدافعهم ، وشعر هو بالرُّعب حتى أنه صرخ فى ذُعر :

ــ كلَّا .. لا تطلقوا النار .

تردَّد الرجال لحظة واحدة ، ولكن (أدهم) لم يتردَّد ، بل دفع (أشكول) ليرتطم برجاله الخمسة ، ثم انقضَّ على الجميع كالصاعقة ، وانطلقت أطرافه الأربعة تصنع انتصارًا آخر له ، وسقط الرجال الخمسة كالذباب ، وتناثرت الدماء من أنف محطَّم ، أو أسنان مهشَّمة ، أو فكٍّ مكسورة ، ولم تلبث المعركة أن انتهت فى سرعة كما بدأت ، وتناثر الأوغاد الخمسة على أرض الغرفة ، يتوسَّطهم زعيمهم (أشكول) ، وانتزع (أدهم) المدافع الرشاشة الخمسة ، وأسرع يقفز من النافذة ، مغمغمًا فى سخرية :

ــ لقد تحوَّل الأمر إلى حرب مكشوفة أيها الأوغاد .

* * *

تحرَّك رجال الشُّرطة المصريين فى قلق ، داخل المبنى الواسع الذى تم اعتقالهم داخله ، وقال أحدهم فى سخط ، وبصوت مسموع :

ــ متى ينتهى هذا الأمر ؟.. إنهم يحتجزوننا هنا من صباح أمس الأوَّل ، فليقتلونا ، أو يطلقوا سراحنا .

مضت بضع لحظات دون أن يعلِّق أحدهم على ماقاله زميلهم ، ثم قال رجل آخر فى صوت آسف :

ــ أعتقد أنهم سيلجئون إلى الحل الأوَّل للأسف ، فهم لن يطلقوا سراحنا بعد أن كشفنا أمرهم بأكمله .

انبعث صوت ثالث يقول :

ــ وهل سننتظر حتى يفعلوا ؟.

أجابه صوت رابع :

ــ إننا عُزل من السلاح ، وهذا المبنى مصنوع من الخرسانة المسلحة ، بحيث يستحيل ثقب جدرانه ،

وليس له سوى باب معدنى واحد ، يقوم على حراسته ثلاثة رجال مسلحين بالمدافع الرشاشة ، وإذا ما حاولنا الفرار ، فسيتصيَّدوننا كالبعوض .

وفجأة .. رفع أقربهم إلى الباب يده ، وكأنه يطلب منهم الصمت ، وقال فى صوت منفعل :

ــ صمتًا يارفاق ، هناك شىء ما يحدث فى الخارج .

تزاحم الجميع بالقرب من الباب المعدنى الصغير ، وأنصتوا بعض الوقت ، ثم غمغم أحدهم :

ــ أى شىء هذا ؟.. إن الصمت يسود المكان ، باستثناء أصوات الحشرات الليلية .

عاد الرجل يقول فى إصرار :

ــ لقد تناهى إلى مسامعى صوت شجار مكتوم ، أعقبته آهة ألم ، ثم صمت تام .

داعبت عبارته أملًا حبيسًا فى صدر كل منهم ، فهتف أحدهم يقول :

ـ هل تظنها محاولة لإنقاذنا ؟

غمغم رجل ثان :

ـ وماذا يمنع ؟.. ربما هي فرقة انتحارية من القوات الخاصة المصرية و ....

قاطعه ثالث ، قائلًا :

ـ مستحيل .. لو أن هذا حدث ، لسمعنا صوت طلقات النيران في كل مكان .

وفجأة .. وصل إلى مسامعهم صوت مفتاح يدور في قفل الباب ، فغمغم أحدهم :

ـ هناك أحد يفتح الباب .

قفزت إلى ذهن الجميع فكرة واحدة بعد هذه العبارة ، إذ أنها فرصة مثالية للهرب ، وقبل أن تستقر الفكرة في العقول ، تحرَّك الباب المعدني في هدوء ، وبدا أمامه رجل طويل القامة ، وسيم الملامح ، عريض المنكبين ، يحمل مجموعة من المدافع الرشاشة ، ويبتسم ابتسامة جذابة واثقة ، وهو يقول في لهجة مصرية خالصة :

ـ مساء الخير أيها السادة .

حدَّق الجميع في وجه الرجل لحظة ، وقد تملَّكتهم الدهشة ، ثم اقترب أحدهم ، وتفرَّس في ملامحه ، ولم يلبث أن هتف في سعادة :

ـ يا إلهي !! إنني أعرفك أيها الرجل .. أنت العقيد (أدهم صبري) .

ابتسم (أدهم) ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ المخابرات المصرية في خدمتكم يا أبطال الشرطة .

* * *

كان ظهور (أدهم صبري) وسط رجال الشرطة المائة ، يشبه ظهور واحة غنَّاء لتائه في الصحراء ، أضناه العطش والتعب ، فالتفُّوا حوله وهم يتصايحون في فرح ، وصاح أكبرهم رتبة وهو يربِّت على كتفه :

ـ مرحى يا رجل المخابرات .. كم انتحاريًّا تضمهم فرقتك ؟

ابتسم (أدهم) وهو يهزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ الفرقة كلها أمامك يا سيِّدي .

اتسعت عيون الجميع ذهولًا ، وصاح ضابط الشرطة الذي سأل (أدهم) :

ـ ماذا تعني ؟.. هل أرسلوا رجلًا واحدًا لإخراجنا من هنا ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقصّ عليهم ماحدث ، ولم يكد ينتهي من قصَّته حتى سأله أحدهم :

ـ كيف وصلت إلى هنا إذن ، مادامت أوامر (أشكول) هي إطلاق النار عليك فور رؤيتك ؟

لاحت ابتسامة ماكرة على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

ـ لقد صدرت الأوامر بإطلاق النار على (فيليب سمعون) ، ولم يكن عليَّ ـ والأمر هكذا ـ إلَّا أن أنزع تنكُّري ، وأحتفظ بوجه (أدهم صبري)

العادي ، ولهذا أيضًا تعرَّفني زميلكم فور رؤيتي ، فلقد عملنا معًا ذات مرة(*) .

قال أحد الضباط في عصبية واضحة :

ـ دعنا من هذا السَّرد ، وأخبرني ماذا تتوقع أن يفعل رجل واحد أمام ألف رجل مسلحين بالمدافع الرشاشة ؟

أشار (أدهم) إلى المدافع الرشاشة الثمانية التي وضعها إلى جوار الباب ، وقال في هدوء :

ـ لم أعد رجلًا واحدًا يا سيِّدي ، هناك ثمانية مدافع رشاشة ، وهذا يعني ثمانية رجال .

عاد الضابط يقول في دهشة :

ـ ماذا تعني ؟

أجابه (أدهم) في هدوء عجيب :

ـ أعني أننا سنحوِّل الأمر إلى حرب حقيقية يا سيِّدي ، لاهوادة فيها .

* * *

(*) سيرد ذكر هذه المغامرة في قصة قادمة .

٧ — حرب فى جزر (أزورس) ..

فتح (أشكول) عينيه فى صعوبة ، ثم تطلَّع فى دهشة إلى رجاله المتناثرين فاقدى الوعى على أرض الغرفة ، ونهض فجأة فى جزع ، وتطلَّع إلى ساعته ، كانت عقاربها تشير إلى الحادية عشرة مساءً ، فأسرع يوقظ رجاله ، ويعاونهم على النهوض ، وتطلَّع إليه (بنيامين) فى بلاهة ، ثم حكَّ رأسه وسأله :

— ماذا حدث يا زعيمى ؟.. هل أصابنى إعصار ؟

صاح (أشكول) فى غضب :

— بل أصابنا ماهو أسوأ أيها الغبىّ ، لقد هزمنا جميعًا رجل واحد .

عادت ذاكرة (بنيامين) إلى رأسه الضخم دفعة

واحدة ، فظهر الغضب على ملامحه ، وصاح بصوته الشبيه بخوار الثور :

— أين ذهب ذلك الشيطان ؟.. لابدَّ أن أحطِّمه تحطيمًا .

أسرع (أشكول) إلى الهاتف ، وهو يقول :

— سنفعل يا (بنيامين) ، إننى أعلم أين سيذهب ، ولكننا سنحبط خُطَّته ، سنعلن الحرب عليه وعلى رفاقه المائة ، وليكن مايكون .

* * *

قسَّم (أدهم) رجال الشرطة المائة إلى ثمانى فرق ، تضم كل منها اثنى عشر رجلًا ، وسلَّم قائد كل فرقة منها مدفعًا رشاشًا ، وهو يقول :

— سيكون على كل فرقة الحصول على أسلحتها بنفسها أيها السادة ، وستتوجَّه كل فرقة إلى المكان المحدود لها بالخُطَّة التى ذكرناها قبلًا ، فتتوجَّه فرقة لاحتلال مبنى اللَّاسلكى ، وإرسال إشارة نجدة للمدمرة

المصرية ، التى تربض على بعد أميال بحرية قليلة من هنا ، وتحتل الفرقتان : الثانية والثالثة اليخت المعد على الشاطئ ، على حين تذهب الفرقة الرابعة لاحتلال مبنى قيادة الجزيرة ، والخامسة والسادسة لحماية الطائرة المصرية ، مما قد يلحق بها فى أثناء القتال ، أمَّا الفرقتان السابعة والثامنة ، فعليهما السيطرة على مخزن الذخيرة ، وسيبقى الرجال الأربعة الباقون هنا ؛ ليحدثوا من الضوضاء ما يوحى بوجود مائة رجل فى الأسر .

غمغم أحد رجال الشرطة :

— تتحدَّث وكأنه أمر هيِّن ، إنك تضع خُطَّة مستحيلة ، فثمانية رجال بمدفع رشاش واحد لا يساوون شيئًا .

ابتسم (أدهم) فى غموض ، وقال :

— ولكننا سنمتلك غطاءً جويًّا يا صديقى .

صاح الرجل فى دهشة :

— غطاء جوِّىّ ؟!.. ومن أين لنا به ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال فى لهجة أقرب إلى الغموض :

— هذه هى مهمَّتى أيها الزملاء .

* * *

تسلَّلت الفرق الثمانية واحدة بعد الأُخرى من مبنى الأَسر فى صمت وهدوء ، وتبعهم (أدهم) بعينيه ، وهم يختفون فى الأماكن المحدودة طبقًا للخُطَّة ، ثم تحرَّك فى خفَّة القط ومرونة الفهد نحو مهبط الطائرات ، كانت خُطَّته تعتمد على سرقة واحدة من الطائرات المقاتلة ، واستخدامها لصنع حالة من الارتباك والفوضى فى صفوف العدوّ ، ممَّا يسمح لرجال الشُرطة بالتحرُّك مستغلِّين عنصر المفاجأة ، والسيطرة على أكبر قدر ممكن من منشآت الجزيرة ...

كانت خُطَّة جريئة شأن كل الخطط التى يضعها (أدهم) ، ولم يكن يأمل فى أكثر من احتلال مبنى الإرسال اللاسلكى ، حتى يمكن إرسال استغاثة لحاملة

ثم تحرَّك فى خفَّة القط ومرونة الفهد نحو مهبط الطائرات ، كانت خطتـه تعتمـد على سرقـة واحـدة من الطـائرات ..

الطائرات ، فتأتى لإنقاذهم ، وبهذا ينقلب ميزان المعركة لصالحهم .

ولم يكن (أدهم) يحمل سلاحًا وهو يتوجَّه لتنفيذ خطته ، ولكنه لم يبال بذلك ، بل تحرَّك فى سرعة ، مستغلًّا الظلام الذى يسود الجزيرة ، حتى وصل إلى مهبط الطائرات ، فاختبرها بعينيه فى سرعة ودقة ، ثم توجَّه إلى إحداها بعد أن وقع عليها اختياره ، ولكن شيئًا ما أوقفه ، شىء مثير للشك .. لم يكن هناك حارس واحد حول الطائرات المقاتلة العشرة .

وتردَّد (أدهم) لحظة ، فقد كان هذا يوحى بوجود فخ ما ، تردَّد (أدهم) لحظة واحدة ، ثم غمغم فى لهجة ساخرة :

ــ فليكن مايكون ، مادامو قد صنعوا الفخ ، فستقفز إليه الفريسة صاغرة .

ثم تحرَّك فى خطوات أقرب إلى الوثب ، نحو (الفانتوم) الرابضة على المهبط ، وقبل أن يصل إليها

بمتر واحد ، انبعثت أضواء قوية فى كل مكان ، حتى أنها أغشت عينى (أدهم) لحظات ، ولم يكد يستعيد قدرته على الرؤية حتى رأى أمامه ، وعلى قيد خطوات منه (أشكول) ، الذى يبتسم فى شماتة وشراسة ، وإلى جواره ذلك الغوريلا العملاق المعروف باسم (بنيامين) ، وقد ازدادت علامات الوحشية البادية فى ملامحه ، وكان (أشكول) يقول فى دهاء وظفر :

ــ مرحبًا يا مستر (أدهم) ، لقد كنا ننتظرك منذ نصف ساعة كاملة .

* * *

برغم شدة المفاجأة ، إلَّا أن (أدهم صبرى) ظل هادئًا باسمًا ، وهو يقول :

ــ أمازلت تجرّ خلفك هذا الغوريلا الغبىّ أيها الوغد ؟

التقى حاجبا (بنيامين) غضبًا ، وهو يتساءل فى قرارة نفسه عن هذا الغوريلا الذى يتحدَّث عنه (أدهم) ، وذكره هذا بحديث قاله (فيليب سمعون)

منذ ساعات قليلة ، ولم يستطع عقله المحدود بالطبع العثور على الصلة بين الرجل الوسيم الواقف أمامه ، و (فيليب سمعون) الذى لقَّنه درسًا قاسيًا فى غرفة زعيمه ، أما (أشكول) فقد أجاب فى هدوء :

ــ دَعْك من هذا الغوريلا يا مستر (أدهم) ، فقد فشلت خُطَّتك تمامًا بسبب خطإ صغير وقعت فيه .

نمت ابتسامة (أدهم) عن السخرية البالغة ، وهو يقول :

ــ أى خطإ هذا أيها الوغد ؟

تجاهل (أشكول) عبارة (أدهم) الساخرة ، وذلك اللَّقب الذى أطلقه عليه ، وقال :

ــ إنك لم تضع ثلاثة رجال آخرين ، موضع الحراس الثلاثة الذين حطَّمت أنوفهم يا مستر (أدهم) .

شعر (أدهم) بالضيق الشديد ، إذ تنبَّه حقًّا إلى

ذلك الخطإ الذى وقع فيه ، ولكن شيئًا من ذلك لم يبد على ملامحه التى ظلّت هادئة ساخرة ، على حين استطرد (أشكول) :

ــ إن الضجيج الذى صنعه الضباط المصريون الأربعة داخل مبنى السجن ، كان يمكنه خداعنا بالفعل ، لولا أننى لم أجد حارسًا واحدًا حول المبنى .. ولقد فهمت الأمر كله بالطبع ، وأصدرت الأوامر المناسبة .

وتحوّلت ابتسامته إلى الوحشية ، وهو يردف قائلًا :

ــ هل تعلم لماذا حضرت إلى هنا دون حراسة يا مستر (أدهم) ؟.. لأن رجالى كلهم يقفون على أهبة الاستعداد ، انتظارًا لبدء هجوم رجال الشرطة المصريين الذين أطلقت سراحهم ، وسيبدو لهم الأمر هادئًا ساكنًا ، وهم يملكون ثمانية مدافع رشاشة لا غير ، ولكنهم حينما يبدءُون هجومهم ستفتح على رءُوسهم نيران السماء ، وستنهال عليهم الرصاصات كالمطر .

وأطلق ضحكة شرسة ، وهو يقول :

ــ حاول أن تتخيّل ألف مدفع رشاش فى مواجهة ثمانية ، كيف ستكون النتيجة فى تصوُّرك يا مستر (أدهم) .

ظهر بريق عجيب فى عين (أدهم) ، وهو يقول :

ــ كان من الخطإ أن تخبرنى بذلك أيها الوغد .

شعر (أشكول) على الرغم منه بالخوف ، أمام بريق العزم فى عينى (أدهم) ، فتراجع بحركة غريزية ، وأشار إلى (بنيامين) صائحًا :

ــ اقتله يا (بنيامين) ، إنه عدوٌّ خطير .

اتخذ (أدهم) وضعًا قتاليًا مناسبًا ، وهو يقول فى سخرية :

ــ ألم تع الدرس بعد أيها الوغد ؟ ، هل تحب أن أحطِّم الأسنان الباقية فى غوريلتك المدلّلة ؟

كشَّر (أشكول) عن أسنان قبيحة ، وهو يقول فى شراسة :

ــ ليس هذه المرَّة يا مستر (أدهم) .

وفجأة .. أخرج (بنيامين) من خلف ظهره سيفًا ماضيًا حادًّا ، وانعكست الأنوار على نصل السيف فى بريق مخيف ، وظهر مزيج من الغضب والوحشية فى ملامح (بنيامين) ، وهو يتأمّل خصمه بعينين فاحصتين ، على حين صاح (أشكول) فى لهجة آمرة ، وهو يشير نحو (أدهم) :

ــ اشطره شطرين يا (بنيامين) .. هيَّا .. نفِّذ .

* * *



٨ ــ بريق الموت ..

قفز (بنيامين) بجسده بالغ الضخامة نحو (أدهم) ، وهبط السّيف الحادّ فى قوة رهيبة على رأس هذا الأخير ، وبدا لبعض الوقت أن السيف سيشطر (أدهم) شطرين بالفعل .. ولكن (أدهم) تحرَّك فجأة فى اللحظة الأخيرة ، متفاديًا النصل القاتل ، الذى انعكس عنه بريق مميت ، واختل توازن (بنيامين) لحظة ، ثم استعاده بسرعة ، ورفع يده الممسكة بالسَّيف ، ليهوى به مرة أخرى على رأس (أدهم) ، ولكن (أدهم) مال جانبًا فجأة ، ثم غاص إلى أسفل ، ودار حول جسد (بنيامين) فى خفَّة ، وقفز متعلّقًا بعنقه .

شعر (بنيامين) بالارتباك ، عندما تعلَّق (أدهم) بعنقه من الخلف ، ورفع يده بالسيف ، محاولًا إصابة خصمه من الخلف ، ولكن (أدهم) أرخى يمناه من

ورفع يده الممســكة بالسَّيف ، ليهوى به
مــرة أخــرى على رأس (أدهم) ..

حول عنق العملاق ، ورفعها ليهوى بها ــ مستخدمًا كل قواه ــ على مؤخرة عنق (بنيامين) ، الذى تأوَّه فى خوار متصل ، ولكنه لم يسقط أرضًا ، ولم يفلت السَّيف من يده ، وإنما أصابه الجنون ، فأخذ يدور حول نفسه ، ويدير ذراعه حول جسده ، محاولًا اقتناص خصمه ..
وتحرَّك (أدهـم) فى مرونـة وهـو يحاور ذراعـى (بنيامين) ، وهنا قبض العملاق على مقبض السيف بكلتا قبضتيه فى قوة ، ثم دفع ذراعيه إلى أعلى ، وإلى الخلف ، وهو ينوى غرس السيف فى ظهر (أدهم) ، ولكن بطلنا أفلتت ذراعاه ، وقفز مبتعدًا فى اللحظة ذاتها ، ولم يتوقَّف اندفاع النصل البرَّاق المتعطش للدماء ، وإنما انغرز فى ظهر صاحبه ..
أصاب العملاق نفسه فى غمرة الغضب والتهوُّر ، وأطلق خوارًا متألمًا ذاهلًا ، وعجزت ذراعاه عن انتزاع السيف من جسده ، واحتقنت عيناه بالدمـاء ، وجحظتا وهو يتطلَّع إلى رئيسه فى ضراعة ، ولكن

(أشكول) لم يمد يده لمعاونة حارسه الخاص ، بل تسمَّر فى مكانه مذعورًا ملتاعًا ، وتنقَّلت نظراته الجزعة بين (بنيامين) ، الذى أخذ يلفظ الروح فى ألم ، و (أدهـم) الذى اندفع إلى الفانتوم ، وتسلَّـق سُلَّمها ، ثم استقر داخلها .. ولم يلبث (أشكول) أن أفاق من ذهوله ، ورأى (أدهـم) يديـر محركات (الفانتوم) ، فانطلق يجرى نحو حجرة القيادة وهـو يصرخ :
ــ أطفئوا الأنوار .. أطلقوا النار على الطائرة .. لن يمكنه الإقلاع فى الظلام .
أطفئت الأنوار فجأة ، واندفع عدد من رجال (أشكول) ، يطلقون نيران مدافعهم الرشاشة على (الفانتوم) ، وشعر (أدهـم) بصعوبة الإقلاع فى الظلام الدامس ، ولكنه لم يتردَّد ، بل جذب ذراع القيادة مغمغمًا :
فلننطلق على بركة الله .

* * *



ولكن (الفانتوم) تحدَّت أوامره بقائدها الماهر ..

اندفعت (الفانتوم) وسط وابل من النيران فوق ممرّ الإقلاع ، وانطلقت تعبره فى جرأة مذهلة وسط ظلام دامس ، وصرخ (أشكول) فى جنون :
ــ أوقفوه .. لا يمكننا أن نسمـح له بالهرب هكذا .
ولكن (الفانتوم) تحدَّت أوامره بقائدها الماهر ، وارتفعت عجلاتها من ممرِّ الإقلاع ، وانطلقت عاليًا فوق المحيط ، وصرخ (أشكول) فى غضب :

— لقد هرب .. لقد خدعنا وفرَّ من بين أيدينا .

ولكن الهرب لم يكن ضمن خُطَّة (أدهم) مطلقًا ، ففى نفس اللحظة التى نطق فيها (أشكول) عبارته ، كان (أدهم) يفحص عدادات (الفانتوم) ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى سخرية ، قائلًا :

— لدينا أربعة صواريخ ، وبضع مئات من الرصاصات ، أعتقد أن هذا يكفى لصنع غطاء جوىّ مناسب .

دارت (الفانتوم) على أعقابها وسط الظلام ، وانقضَّت مرة ثانية على الجزيرة التى غادرتها توًّا ، وغمغم (أشكول) فى ذعر ، وهو يراقب الطائرة تقترب :

— ماذا ينوى أن يفعل هذا المجنون ؟

ولم يكد يتم تساؤله ، حتى انطلق صاروخ من جانب (الفانتوم) ، وشقَّ السماء بذيله الملتهب ، ثم أصاب مبنى القيادة ، وحوَّله إلى مجموعة من الشظايا الصغيرة ، وعادت (الفانتوم) تدور حول نفسها

استعدادًا لهجوم ثان ، وهنا هتف (أشكول) :

— أحضروا طيارينا ، ستنقض عليه الطائرات التسع الباقية .

ورفع رأسه إلى (الفانتوم) التى تعاود هجومها ، مغمغمًا فى حقد :

— لنَر كيف تواجه تسع طائرات مقاتلة أيها الشيطان .

* * *

لم يكد مبنى القيادة ينفجر إثر صاروخ (أدهم) ، حتى صاح أحد ضباط الشُرطة المصريين :

— لقد فعلها ضابط المخابرات .. لقد صنع الغطاء الجوِّى الذى وعد به .

قال آخر :

— دَعْنا لانضيع ما فعله ، فلنهاجم الآن .

رفع أكبر المجموعة رتبةً مدفعه الرشاش ، وقال فى حماس :

— فلنبدأ على بركة الله يا رفاق .

اندفع أفراد المجموعة الثانية إلى مبنى اللاسلكى ، وأطلق قائدها نيران مدفعه الرشاش على الحرَّاس الأربعة الذين يقومون على حراسة المبنى ، وكأنما كان ذلك إيذانًا ببدء القتال ، فقد انبعثت على الأثر أصوات الطلقات النارية فى كل أنحاء الجزيرة ، والتقط أربعة ضباط المدافع الرشاشة المتخلِّفة عن الحراس القتلى ، وهتف أحدهم فى انفعال :

— يبدو أننا سننتصر يا رفاق .

وفجأة .. فتحت أبواب المبنى ونوافذه ، وانطلقت عشرات المدافع الرشاشة نحو الضباط الثمانية ، ولقى أحدهم مصرعه فى الحال ، على حين أصيب ضابطان آخران ، وأسرع الناجون يحملون المصابين ، ويحتمون خلف حائط أسمنتى ، على حين لم يتوقَّف انهمار النيران حولهم ، وصاح أحدهم :

— يا إلهى !! لقد كانوا ينتظروننا .. لاريب أن هذا ماحدث للباقين .

قال آخر :

— مازالت أصوات القتال تنبعث من كل مكان بالجزيرة ، إن رفاقنا يقاومون ، ولكن — والحال هكذا — فإننى أعتقد أن الفوز سيكون عسيرًا للغاية .

غمغم آخر :

— الفوز ؟!.. يا لك من متفائل !!

وفى تلك اللحظة صَمَّ آذانهم هدير قوىّ ، فارتفعت رءُوسهم إلى مصدره ، وشاهدوا (الفانتوم) التى يقودها (أدهم) ، تندفع عَبْر ممر الأسلاك الذى يغطِّى الجزيرة ، فى مناورة انتحارية مذهلة ، ومدفعاها الرَّشاشان يغمران مبنى اللاسلكى بالرصاصات ، ثم لم يلبث أحد صواريخها أن انطلق مدمِّرًا المبنى ، قبل أن تدور الطائرة ، وتنطلق مبتعدة ، وصرخ أحد الضباط فى حماس وانفعال :

ـــ يا له من بطل !! هل رأيتم كيف يقاتل ؟
أمسك زميل له بذراعه صائحًا :
ـــ يا إلهى !! انظر .
التفت الجميع إلى حيث أشار زميلهم ، واتسعت عيونهم دهشة وقلقًا ، وصرخ أحدهم فى غضب :
ـــ يا إلهى !! إن الطائرات التسع الأخرى تندفع خلفه ، لن يمكنه التغلّب عليها .. لقد استنفد معظم ذخيرته ، وهو ليس طيّارًا محترفًا .
غمغم آخر فى أسّى :
ـــ أنت محقّ .. إننا نشاهد بأعيننا نهاية بطل .

* * *



٩ ـــ فى سماء المعركة ..

رأى (أدهم) المقاتلات التسع تغادر الجزيرة ، وتتّجه إليه فى سرعة وتحفُّز ، فألقى نظرة سريعة على عدّادات الطائرة ، وغمغم فى سخرية :
ـــ إننى أدفع ثمن الخطإ ، كان ينبغى أن أحطّم ممر الإقلاع ، بأول صاروخ ينطلق من هنا .
ثم زاد من سرعة (الفانتوم) ، وهو يستطرد :
ـــ ثم إنه لم يعد لدّى سوى صاروخين ، ونصف عدد الرصاصات ، ووقود يكفى ربع ساعة فقط .
كان هذا الإحصاء العـــددى يؤكـــد هزيمة (أدهم) ، إذا ما اشترك فى قتال مباشر مع تسع طائرات ، لم تفقد من وقودها وذخائرها شيئًا ، ويقودها طيّارون بارعون .. كان الموت هو النهاية الحتميّة له إذا مافعل ، ولكن الموت وحده لم يكن يكفى لإقناع (رجل

المستحيل) بالفرار أمام خصومه ، كانت فى داخله طاقة رهيبة من العناد تأبى عليه أن ينسحب من معركة ، أى معركة .. لذا فقد أدار مقاتلته ، وهو يقول فى هدوء :
ـــ فليكـــن .. إن الإنسان لا يموت سوى مرة واحدة .
وانقضّ بطائرته على المقاتلات التسع ، وكان الهجوم مباغتًا حقًّا بالنسبة لقوّاد المقاتلات ، فلم يدر ببال أحدهم أن يقدم (أدهم) علىٰ هذه الخطوة الانتحارية العجيبة ، ولقد كان لعامل المفاجأة أثره الفعال ، إذ أمطر (أدهم) المقاتلات التسع برصاصات مدفعه الرشاش قبل أن تطلق إحداها رصاصة واحدة ، وأصاب خزان الوقود فى إحداها ، فهوت مشتعلة إلى أعماق المحيط ، وابتسم هو ساخرًا وهو يقول :
ـــ بداية موفّقة .. لقد اختصرنا عدد الخصوم إلى ثمانية فقط .
ولم يكد يتم عبارته ، حتى جذب عصا القيادة فى

قوة ، فارتفعت طائرته بحركة شبه عمودية فوق المقاتلات الثانية ، التى ذهبت رصاصاتها هباءً مع تلك الحركة المباغتة ، وارتفع (أدهم) بطائرته عاليًا ، ثم تركها تهوى فى شكل غير متناسق ، كما لو كان قد فقد السيطرة عليها ، حتى أن أحد طيارى المقاتلات الأخرى غمغم ساخرًا :
ـــ من الواضح أنه غير محترف ، لقد خدعته الطائرة .
ولكن طائرة (أدهم) استعادت اتزانها فجأة ، وانقضّت من علٍ على المقاتلات الثانية ، ونجح (أدهم) فى هذه المرة أيضًا فى إسقاط طائرة ثانية .. وعلى الفور انفصلت المقاتلات السبع الباقية فى تشكيل يعرف باسم (النافورة) ، وارتفعت اثنتان منها عاليًا ، على حين انخفضت أخريان ، ودارت الثلاثة الأخرى حول طائرة (أدهم) ، الذى انطلق يدور فجأة فى مناورة دائرية رأسية ، تنمّ عن مهارة بالغة ، وحنكة عالية ، واعتلى

ظهر المقاتلتين الهابطتين ، ثم أطلق أحد صاروخيه على مؤخرة إحداهما ، وانفجر ذيل الطائرة ، فاختل توازنها ، ومالت ناحية رفيقتها ، فارتطمت مقدماتهما ، وتحطَّمت الطائرتان ، وهوتا إلى المحيط ، على حين أسرع طيّاراهما يقفزان بمقعديهما خارج المقاتلتين ، في نفس اللحظة التي أطلق فيها (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، وقال في لهجة تفيض تهكُّمًا :

ــ هكذا يكون العمل .

وفي نفس الوقت انقضَّت عليه مقاتلتان أُخريان من أعلى ، وحاولت الثلاثة الأُخرى الإتيان من خلفه ، إلَّا أنه هبط فجأة على نحو حاد بالغ الخطورة ، حتى قارب سطح المحيط ، ثم رفع مقدمة طائرته ، وانطلق بها محاذيًا مياه المحيط ، التي ارتطمت بها آلاف الرصاصات ، وغاص فيها صاروخان قويان لم ينجحا في تدمير مقاتلة (أدهم) ، الذي عاد يرتفع فجأة أيضًا ، ليمُرق وسط المقاتلات الخمس ، محدثًا موجة من التخلخل الهوائي

دفعت مقاتلتين منها إلى الارتطام بعضهما ببعض ، فدُمِّرتا وهوتا محطَّمتين مشتعلتين .

كانت المناورات التي يقوم بها (أدهم) بالغة التعقيد والخطورة ، وتحتاج إلى مهارة فائقة للقيام بها على هذا النحو ، ممَّا أصاب الطَّيارين الباقين بالحنق والغضب ، حتى أن أحدهم صاح في حقد :

ــ أهذا الذي يقولون عنه إنه ليس محترفًا ؟ إنه يفُوق البارون الأحمر نفسه في أيام مجده(*) .

وفي نفس اللحظة التي نطق فيها الطَّيار بهذه العبارة ،

(*) البارون الأحمر : هو (مانفريد فون ريشتهوفن) ، أكبر وأشهر بطل في طائرات المطاردة في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، ولقد أطلق عليه هذا اللّقب ؛ لأنه كان يطلي طائرته دائمًا باللون الأحمر ، ولقد بلغت مهارة (ريشتهوفن) حدًا دعا أعداءه ــ الإنجليز في ذلك الحين ــ إلى تمجيده ، وكان أول ألماني يمجّده الشعب الإنجليزي ، ولم يشاركه هذا الامتياز سوى (روميل) القائد الألماني الشهير ، والملقب بـ (ثعلب الصحراء) في الحرب العالمية الثانية .

كان محرِّك (الفانتوم) التي يقودها (أدهم) يطلق حشرجة مزعجة ، وألقى هو نظـرة على عدَّادات الطائرة ، ثم مطَّ شفتيه قائلًا :

ــ لقد نفد الوقود .. علينا أن نعتمد على التيارات الهوائية فقط .

ثم ابتسم ابتسامة ساخرة مستطردًا :

ــ لا بأس يا (أدهم) .. لقد أوقعت ست مقاتلات ، هذا يكفيك لا تكن طماعًا فتأمل النصر .

انزلقت طائرته على وسادة من الهواء بعد أن فقدت قوة الدفع ، وبدت كالسلحفاة أمام المقاتلات الثلاث الباقية التي تدفعها محرِّكاتها النفاثة ، وتنبَّـه قادة المقاتلات الثلاث إلى ذلك ، فقال أعلاهم رتبة ، محدِّثًا رفيقه من خلال أجهزة اللاسلكي الداخلية :

ــ يبدو أن وقوده قد نفد ، ولكن حذار أن يكون الأمر مجرَّد خدعة ، سندور من حوله ، ونباغته بطلقاتنا في آن واحد .

ولكن (أدهم) أدار دفَّة طائرته في نفس اللحظة ، فانزلقت على جانبها إلى أسفل ، ولم يكد يجد نفسه في محاذاة إحدى المقاتلات الثلاث ، حتى أطلق الصاروخ الباقي ، الذي أصاب المقاتلة في منتصفها تمامًا ، وشطرها شطرين ، فصرخ قائد مقاتلة أخرى :

ــ ياللشيطان !! لقد نسيت أنه يستمع إلى رسائلنا عَبْر اللاسلكي في طائرته ، فكلها مضبوطة على موجة واحدة .

ثم أردف وهو يزيد سرعة طائرته إلى أقصاها ، محدِّثًا رفيقه الباقي :

ــ سنقضي عليه يا زميلي .. سنحطِّم طائرته مهما كان الثمن .

* * *

١٠ ـــ من أعماق المحيط ..

عقد قبطان حاملة الطائرات المصرية حاجبيه ، وهو يتابع معركة الطائرات على شاشة الرادار ، ثم قال فى قلق :

ـــ لست أشك فى أن رجلنا (أدهم صبرى) ، هو الذى يقود تلك الطائرة ، التى أوقعت خمس مقاتلات حتى الآن ، ولكن يبدو أن وقوده قد نفد ، فطائرته قد أبطأت كثيرًا .

قال الضابط البحرى الذى يجاوره :

ـــ ألم يحن الوقت لتدخُّلنا بعد يا سيِّدى ؟

صمت القبطان مفكِّرًا ، وطال تفكيره بعض الوقت وهو يقول :

ـــ الأوامر تقضى بعدم اللُّجوء إلى ذلك ، إلَّا للضرورة القصوى أيها المقدم ، فنحن الآن فى مياه دولية ،

ولا يمكننا مهاجمة جزيرة من جزر (أزورس) ، وإلا أشعلناها حربًا .

قال المقدم البحرى فى اهتمام :

ـــ ولِمَ لا نعتبر الأمر ضرورة قصوى يا سيِّدى ؟

عاد القبطان يعقد حاجبيه ، قائلًا :

ـــ كان من المفروض أن نتلقَّى رسالة لاسلكيَّة من العقيد (أدهم صبرى) أولًا أيها المقدم ، فقد يؤدى تدخُّلنا إلى قتل الضباط المائة ، لا تنس أنهم لا يزالون فى قبضة العدوّ حتى هذه اللحظة .

هزَّ المقدم البحرى كتفيه ، قائلًا :

ـــ لو خسر العقيد (أدهم) هذه المعركة ، سينتهى الأمر بالنتيجة نفسها يا سيِّدى .

حرَّك القبطان رأسه موافقًا ، ثم عاد يقول :

ـــ ولكن تجهيز طائراتنا للإقلاع سيستغرق وقتًا و ...

قاطعه المقدم قائلًا فى انفعال :

ـــ معذرة يا سيِّدى ، ولكن الطائرات مُعَدَّة ، والطيارون خلف عصا القيادة بها ، وهى مستعدَّة للإقلاع فور موافقتك .

التفت إليه القبطان فى دهشة ، وسأله :

ـــ ومن أصدر تلك الأوامر ؟

تخضَّب وجه المقدم بحُمرة الخجل ، وهو يقول :

ـــ معذرة يا سيِّدى ، لقد فعلت أنا ذلك ، لقد تصوَّرت أن ....

قاطعه القبطان قائلًا فى حماس :

ـــ دعْنا من التبريرات ، فلتنطلق طائراتنا فورًا .

ثم أردف ، وهو يبتسم فى أبوَّة صادقة :

ـــ ولنؤجل محاكمتك على اتخاذ هذا القرار لما بعد .

رفع المقدم يده بالتحيَّة العسكريَّة فى حماس ، قائلًا :

ـــ نعم يا سيِّدى .

* * *

كانت طائرة (أدهم) تنزلق نحو المحيط ، وقد فقد السيطرة عليها ، وانقضَّت عليه المقاتلتان الباقيتان انقضاض الصقر ، وصرخ قائد إحداهما فى حماس وانفعال :

ـــ الوداع أيها الشيطان المصرى ، ستنسفك صواريخنا نسفًا .

وداعبت أصابعه زرّ إطلاق الصواريخ المثبَّت فى نهاية عصا القيادة ، وهمَّ بالضغط عليه .

وفجأة .. برزت خمس مقاتلات مصرية ، وكأنما لفظها المحيط من أعماقه ، برزت بغتة وهى تنطلق نحو المقاتلتين المعاديتين ، ولم يكد قائدا المقاتلتين ينتبهان إلى ظهور المقاتلات المصرية ، حتى كانت صواريخ المقاتلات المصرية تندفع إليها ، وتحطَّمت المقاتلتان فى آن واحد ، وتناثرت أجزاؤهما على مدى واسع وسط المحيط ، وصرخ (أدهم) فى فرح :

ـــ يا إلٰهى !! لقد آمنت بالمثل القائل : «احرص على الموت توهب لك الحياة » .

ثم عدل دفَّة طائرته ، فعادت تنزلق فوق الهواء نحو الجزيرة ، وامتدت يده تعدل موجة اللاسلكى لتوافق موجة الطائرات المصرية ، ولم يكد يصل إليها حتى قال :

ـــ شكرًا أيها الزملاء .. لقد وصلتم فى الوقت المناسب تمامًا .

أجابه قائد المقاتلات المصرية ، قائلًا :

ـــ لا عليك يا سيادة العقيد ، هل تريد منا أن نقصف الجزيرة ؟

ابتسم وهو يجيبه قائلًا :

ـــ ليس بعد يا صديقى ، فمازال ضباطنا فوقها ، لتظلوا حولها ، فقد يحتاج الأمر إليكم .

أجابه القائد :

ـــ حسنًا يا سيادة العقيد ، ولكن طائرتك تنزلق دون وقود .. هل يمكنك توجيه دفَّتها للهبوط على الجزيرة ؟

قال (أدهم) باسمًا :

ـــ نعم يا صديقى .. شكرًا لك .

ثم عاد يحرِّك دفَّة الطائرة ليهبط فوق ممَرّ الطائرات فى الجزيرة ، وهو يستطرد ساخرًا :

ـــ هأنذا أول مجنون يعود بقدميه إلى أرض القتال ، وهو أعزل من السلاح .

* * *

تطلَّع (أشكول) فى ذُعر إلى المقاتلات المصرية ، وهى تنقضُّ على مقاتلتيه ، وتوردهما مورد التهلكة ، فصرخ فى رجاله :

ـــ أرسلوا استغاثة عاجلة يارجال ، قبل أن يدمرنا المصريون .

صاح أحد الرجال فى جزع :

ـــ لقد حطَّم ذلك الشيطان برج اللاسلكى ، فى بداية هجومه أيها الزعيم .

رأى (أشكول) المقاتلات المصرية تحوم حول الجزيرة ، وشاهد طائرة (أدهم) وهى تنزلق نحو ممَرّ الهبوط ، بعد أن توقَّفت محرِّكاتها ، فسأل أقرب الرجال إليه فى توتُّر :

ـــ هل قضيتم على ضباط الشرطة ؟

أجابه الرجل وقد بدا الاضطراب واضحًا فى نبراته :

ـــ إنهم يقاتلون كالوحوش .. لقد نجحوا فى الحصول علىٰ بعض المدافع الرشاشة ، وقتلوا منَّا عددًا كبيرًا ، على حين لم نصب منهم إلا عشرة أو أقل ..

صاح (أشكول) فى غضب جنونى :

ـــ ماذا أصابكم ؟ أيعجز ألف رجل مدرَّب عن القضاء على مائة شرطى ؟

أجابه الرجل وهو يلوِّح بذراعيه فى حَيْرة :

ـــ لقد فاجأتنا مهارتهم يا سيِّدى .. لقد كنا نظن رجال الشرطة أقل مهارة من رجالنا .

صرخ (أشكول) :

ـــ من الغبىّ الذى أخبركم بذلك ؟.. إن رجال الشرطة المصريين يتلقَّون تدريبات رفيعة على فنون القتال .

صاح الرجل ، وهو يشير إلى ما خلف زعيمه :

ـــ لقد هبط الشيطان المصرى الذى أسقط طائراتنا يا سيِّدى ، إنه يغادر الطائرة .

استدار (أشكول) فى حركة حادة ، وضاقت عيناه حتى أصبحتا بمثابة شقين رفيعين ، وهو يرمق (أدهم) من بعيد ، وتفجَّر فى داخله بركان من الغضب ، لم يلبث أن تحوَّل إلى لهب متَّقد فى عينيه ، وهو يشير إلى (أدهم) صارخًا :

ـــ فلتذهب الجزيرة ، وليذهب رجال الشرطة إلى الجحيم .. أريد هذا الرجل ، أريده مهما كان الثمن .

* * *

١١ ــ اقتلوا هذا الرجل ..

لم يكد (أدهم) يقفز خارج كابينة (الفانتوم) ، حتى انهمرت رصاصات رجال (أشكول) حوله كالمطر ، ولكن يبدو أن ملك الموت لم يكن يرغب فى قبض روح (أدهم صبرى) هذا المساء ، أو أن رصاصات هؤلاء الأوغاد كانت ترفض أن ترتطم بجسد واحد من أعظم أبطال العالم .. فبرغم آلاف الرصاصات التى انطلقت نحوه ، لم تصبه واحدة منها بأدنى سوء ، حتى أن هذا الأمر أدهشه نفسه ، وأثار جنون الغضب فى نفس (أشكول) ، فأخذ يصرخ فى جنون :

ــ اقتلوا هذا الرجل .. سأدفع ألفى دولار لمن يحضر رأسه منكم .

أثارت صرخات (أشكول) حماسة رجاله ، فاندفعوا خلف (أدهم) يطاردونه فى إصرار ، وزأرت فوّهات

مدافعهم الرشاشة وهى تلفظ رصاصاتها خلفه ، على حين ألقى هو نفسه وسط الأغصان المتشابكة ، وأخذ يجرى دون هدف ، وبدأ يتهم نفسه بالغباء على عودته هكذا دون سلاح ، وسط مئات من خصومه ، ولكنه تنبَّه إلى أن رصاصاتهم لم تنل منه برغم انهمارها هكذا فى غزارة ، وأيقظ هذا فى نفسه شعور التحدّى والسخرية ، فبرقت عيناه فى تهكُّم وهو يغمغم :

ــ يا لك من رجل خطير يا (أدهم) !! إن مئات الرجال يطاردونك .

وفجأة .. ومع آخر حروف كلماته ، وجد نفسه وجهًا لوجه أمام واحد من رجال (أشكول) ، كانت المفاجأة من نصيبهما معًا ، ولكن الرجل تحرَّك حركة غريزية مع المفاجأة ، فرفع مدفعه الرشاش فى وجه (أدهم صبرى) ، وانطلقت أصابعه نحو الزّناد .

* * *

للمفاجأة أثر غريب على البشر ، فهى إما أن تصلّب أطرافهم أو تدفعها إلى النشاط والقوة ، وفى حالنا هذا كان للمفاجأة الأثر الثانى على طرفى الموقف ، فتحرّك كل منهما فى سرعة واحدة ، وهنا اعتمد الأمر على سرعة استجابة ومبادرة كل منهما ، وفى هذا المجال يندر أن يوجد من يفوق (أدهم صبرى) الملقّب بـ (رجل المستحيل) .

رفع الرجل مدفعه الرشاش فى وجه (أدهم) ، ولكنه لم يجد ما يكفى من وقت للضغط على الزّناد ، إذ تحرّكت يدا (أدهم) فى سرعة ، لتقبض إحداهما على ماسورة المدفع الرشاش ، وتبعد فوّهته عن جسده ، وتنطلق الثانية كالقنبلة ، لتنفجر فى فكّ الرجل ، الذى تخاذلت يده القابضة على مدفعه الرشاش ، وهوَى على الأرض كالحجر .

جذب (أدهم) المدفع الرشاش ، واستدار فى سرعة وهو يقول فى سخرية :

ــ ويل لكم أيها الأوغاد ، لقد أصبحنا على قدم المساواة .

وضغطت يده على الزّناد ، فانطلقت رصاصات مدفعه الرشاش نحو رجال (أشكول) .. وهكذا هو (أدهم صبرى) دائمًا ، يسخر من الموت ، ويقف فى وجهه متهكّمًا ، وترتفع هامته شامخة أمام الخطر ، وتنطلق يده ثابتةً فى وجه الخوف ، وهذا ما يجعل أعداءه يرتجفون أمامه ، ويفزعون من مجرَّد ذكر اسمه ، تضاف إلى ذلك العناية الإلٰهية التى ترعاه دائمًا ، لأنه لا يقاتل أبدًا إلَّا لهدف نبيل .

وعلى عكس رصاصات خصومه أصابت رصاصاته كلها الهدف ، وتساقط رجال (أشكول) أمامه كالذباب ، وسرعان ما تراجعوا فى ذُعر وفوضى وكأنهم يقاتلون كتيبة كاملة ، وشعر (أشكول) برغبة جارفة فى البكاء ، بعد أن رأى رجاله يُهزمون أمام مائة ضابط شرطة ، ورجل يفوق جيشًا بأكمله ..

وتلفَّت ذئب (الموساد) حوله فى حَيْرة ، ثم انطلق يجرى نحو اليخت ، ومرَّ فى عدْوه بجسد (بنيامين) الذى استلقى جثةً هامدةً ، ولكنه لم يلتفت إليه ، ولم يعره اهتمامًا ، وتوقَّف (أشكول) على بعد أمتار قليلة من اليخت ، وتعلَّق بصره برجال الشرطة المصرية الثانية ، الذين يقاتلون حرَّاس اليخت فى شراسة ، فانتزع مدفعًا رشاشًا من أحد رجاله القتلى ، وأطلق النار على ظهور رجال الشرطة ، وأصابهم بإصابات خطيرة ، ولكنه لم يلتفت إليهم وهو يعبر أجسادهم المصابة فى لامبالاة ، وقفز إلى اليخت ، وصاح فى رجاله :

ــ فلننطلق بعيدًا عن هذه الجزيرة الملعونة أيها الرجال .

سأله أحد الرجال فى دهشة :

ــ هل هزمونا يا سيِّدى ؟

صرخ (أشكول) فى غضب :

ــ لا تناقشنى أيها الغبىّ .. ابتعد من هنا فورًا .

دارت محرِّكات اليخت ، وأخذ يبتعد عن الجزيرة فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى التقى (أدهم) فيها برجال الشرطة ، الذين تصايحوا قائلين فى فرح :

ــ لقد انتصرنا أيها العقيد .. لقد هزمنا هؤلاء الأوغاد .. لقد انتصرنا على ألف رجل دفعة واحدة .

لم يجبه (أدهم) ، بل تصلَّبت عضلات وجهه ، وهو يصغى بسمعه قائلًا :

ــ يا إلٰهى !! إنه صوت اليخت يبتعد ، سيفرّ زعيم الأوغاد .

واستدار فجأة ، وانطلق يعدُو نحو الشاطئ ، قبل أن يتحرَّك واحد من رجال الشرطة ، أو ينطق بكلمة واحدة .. وبرز (أدهم) من وسط الأغصان ، ورأى اليخت يبتعد ، فشعر بالغضب يجتاح نفسه ، وأخذ يجرى نحو حافة المياه ، وكأنه يحاول اللَّحاق باليخت ،

ومن فوق اليخت نفسه لمح (أشكول) (أدهم) وهو يقترب من الماء ، فصاح وهو يشير نحوه :

ــ هـذا هو الرجل الذى أريده .. اقتلوه يا رجال .. اقتلوه .

* * *

من السهل إصدار أمر بالقتل ، ولكن من الصعب تنفيذ مثل هذا الأمر ، وخاصة عندما يتعلَّق الأمر بقتل رجل مثل (أدهم صبرى) .. فلم يكد رجال (أشكول) يصوِّبون مدافعهم الرشاشة نحو (أدهم) ، حتى انطلقت الرصاصات من فوَّهة مدفعه ، واتسعت عيون رجال (أشكول) دهشة ، عندما أصابت رصاصات (أدهم) مدافعهم الرشاشة وحطَّمتها ، دون أن تصيبهم شخصيًّا بأدنى سوء ، لم تكن دهشتهم للمسافة الشاسعة التى تفصلهم عن (أدهم) ، والتى يعجز أعظم الرُّماة عن إجادة التصويب منها ، ولم تكن بسبب الظلام الذى يسود المنطقة ، والذى يصعب معه إصابة

هدف صغير كمدافعهم الرشاشة .. ولكن دهشتهم الحقيقية كانت بسبب روح النبل والفروسية التى يموج بها (أدهم صبرى) .. لم يكن من السهل على عقول اعتادت القتل وسفك الدماء أن تتفهَّم أسلوبًا كهذا .

حتى (أشكول) نفسه لم يفهم ما حدث ، ولكنه شعر بالقهر والألم لفشل قواته كلها فى القضاء على رجل واحد ، ودون أن يدرى سال الدمع من عينيه ، وغطَّى وجهه النحيل ، وانهار على أقرب حاجز من اليخت ..

ويبدو أن القدر لم يكتف بتلك الهزيمة ، بل أصرَّ على تحطيم (أشكول) ودولته تمامًا فى هذه المرة .. فلم يكد (أشكول) ينهار داخل اليخت ، حتى عَبَرت فوق رأسه المقاتلات المصرية ، وغطَّى هديرها على صوت صرخات الفزع التى انطلقت من أفواه رجاله ، ورفع هو

رأسه فى يأس يتطلّع إلى المقاتلات المصرية ، ثم عاد يخفضها قائلًا :

ـــ أوقفوا محرّكات اليخت يا رجال .. لا فائدة .. لقد هزمنا ذلك الشيطان المصرىّ .

* * *



١٢ ـــ الختام ..

اتسعت ابتسامة (أدهم صبرى) ، وهو يعبر ممرّات مبنى المخابرات المصرية ، عندما وقع بصره على وجه زميلته (منى توفيق) الغاضب ، واقترب منها وهو يقول فى مرح :

ـــ كيف حالك يا زميلتى العزيزة ؟

أجابته فى لهجة غاضبة :

ـــ لست أعتقد أن يهمّك معرفة ذلك .

ابتسم وهو يربّت على كتفها قائلًا :

ـــ هل تعتقدين ذلك حقًّا ؟

صاحت فى غضب :

ـــ كيف تذهب وحدك فى مهمّة خطيرة كهذه، دون حتى أن تخبرنى ؟

هزّ كتفيه ، وهو يقول :

ـــ إنها سرّيّة العمل يا زميلتى العزيزة .

فتحت فمها وهى تهمّ بالاعتراض ، ولكنها وجدته على حقّ ، فغمغمت فى صوت منخفض :

ـــ حمدًا لله على عودتك سالمًا .

ابتسم ابتسامة حانية ، وهو يقول :

ـــ شكرًا يا عزيزتى ، ماكنت أعلم أنك ستقولينها فى النهاية .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وغمغمت :

ـــ يقولون إنك أنجزت مهمة رائعة فى جزر (أزورس) .

مطّ شفتيه قائلًا :

ـــ ليس إلى هذا الحدّ يا عزيزتى ، لقد كانت لنا خسائرنا .

قالت وهى تتأمّل الأسف البادى على ملامحه :

ـــ لقد فقدنا خمسة ضباط ، وأصيب عشرون آخرون ، على حين خرج الباقون سالمين ، إنه نصر حقيقى يا (أدهم) .. لقد كنتم تقاتلون ألف رجل .

وتألّقت عيناها إعجابًا ، وهى تردف :

ـــ ولقد سمعت كيف أوقعت وحدك سبع مقاتلات من طراز (الفانتوم) .. وكيف أن السيّد رئيس الجمهورية قد منحك وسامًا خاصًّا ، وعلمت أيضًا أن وزير الداخلية قد منحك رتبة شرفية فى كادر الشرطة .

قال فى هدوء :

ـــ لقد كنت أؤدى واجبى فحسب يا عزيزتى .

وفى تلك اللحظة هتف (قدرى) من خلفه :

ـــ كيف حالك أيها البطل ؟.. لقد كنت أتحدّث عنك منذ لحظات .

ابتسمت (منى) ، وهى تتأمّل جسد (قدرى) الضخم ووجهه الطفولى ، على حين استدار إليه (أدهم) ، قائلًا فى مرح :

ـــ كيف حالك أنت أيها البدين ؟.. هل تمّت (زلّومتك) بعد ؟

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وقال :

ـــ ليس قبل أن تضمر عضلاتك يا صديقى .

ضحكت (منى) وهى تقول :

ـــ هذا هو المستحيل يا (قدرى) .. معذرة .. سأترككم الآن ، فأنا أنوى ممارسة بعض التدريبات فى حقل الرماية .

ابتعدت (منى) فى خطوات هادئة ، على حين مال (قدرى) على أذن (أدهم) ، هامسًا :

ـــ متى ستتزوَّج هذه الفتاة الرائعة يا صديقى ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة حانية ، وهو يقول :

ـــ هذا الأمر يتوقف على موافقتها يا (قدرى) ، إن رفضها هو الشىء الوحيد الذى أخشاه فى حياتى .

ابتسم (قدرى) ابتسامة صافية ، وهو يقول :

ـــ أقْدِم ولا تخف يا صديقى العزيز .. مجنونة هى من ترفضك ، وسيكون أسعد أيام حياتى هو يوم أتلقَّى دعوة لحضـور حفـل زفـاف النقيب (منى توفيق) وأعـز أصدقائى .. (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩